نكارتر (١)

الماسة المفقودة

كان نكارتر البوليس السري الشهير وقد وقعت هذه الحادثة في مدينة دانفر من مقاطعة كولورادو . وقد دعاه اليها عمل مهم جداً فملأت الجرائد المحلية اعمدتها بذكر نكارتر واعماله الغريبة ودار اسمه على الالسنة وتناقلته الافواه

وحين انهى طعام الغداء في احد الايام جلس في الغرفة مع معاونه باتسي واذا بخادم الفندق اقبل عليه وسلمه رقعة زيارة قال له ان صاحبها يود ان يكلمه في الحال فأخذها البوليس وقرأ عليها اسم فيليب دلتر بصوت منخفض ثم التفت الى معاونه باتسي وسأله هل سمعت بهذا الاسم قبلاً . فابدى باتسي اشارة النفي . فتبسم نكارتر وقال اذن فلنغتنم هذه الفرصة للتعرف الى هذا الرجل وقال للخادم ادخله اليّ

وبعد هنيهة اقبل الزائر وهو ربعة في الرجال قد لوحت وجهه اشعة الشمس وكانت حركاته العنيفة تدل على انه عرضة لاضطراب وانفعال شديد حتى انه لم يفكر بتحية البوليس عند الوصول بل صرخ قائلاً : يجب ان استعيد ماستي المفقودة المدعوة (عين الشيطان)

فاجاب نكارتر . — ذلك مما لا ريب فيه

فقال باتسي متمتماً — حسناً يفعل هذا الرجل اذا تكلم عن الشيطان ذاته

ولكن الغريب استأنف الكلام وقال بالغرابة أليس من العجب ان افقد عين الشيطان ماستي الثمينة . فقال البوليس بأن حسناً ولكن اسمح لي اولاً ان اقدم لك نفسي فانا نقولا كارتر من نيويورك

فعض الزائر على شفته ثم قال :

وانا فيليب دلتر . واذا كنت قد اخطأت فارجوك معذرة لانني اضعت صوابي حين فقدت ماستي العزيزة التي لا يعادلها ثمن .

---

(١) معربة عن الافرنسية بقلم جرجي افندي حداد

فخاطبه نكارتر قائلاً تفضل واجلس ثم قص علينا قصتك بالسكينة التامة فاذا وجدت فيها ما يستحق العناية فانا رهن امرك

فجلس دكار في المقعد الذي اشار اليه نكارتر ثم الى تشك وباتسي نظر مستفهماً وقال اظن ان هذا الشاب مساعدك

— نعم ومن اشد مساعديّ ذكاء ثم بعد ان تعارف الرجلان وتصافحا قال دكار فلنعد الآن الى حديث الماسة واظن انه يهمك ان تعرف تاريخها قبل ان تدخل في ملكي

— لا حاجة لي بذلك فيكفيني ان اعرف منك كيف ومتى نقلت هذه الماسة اليك

— انها دخلت في حوزتي منذ سنة تقريباً وكنت في تلك الاونة تاجراً في كلكتا فاتفق لي مرة اني انقذت حياة رجل برهمي له شرف أثيل وثروة جزيلة ودافعت عنه عصابة لصوص داهموه — ولست افتخر بشجاعتي — ولكني اقول اني لحسن الحظ كنت حاملاً مسدسي وانتم تعلمون ان السلاح الجيد يفعل ما لا تفعله البسالة

— ذلك مشهور ولكنه يتوقف على الساعد الذي يدير السلاح

اني احسب كل هذا — وانا بريء من التبجح — اني استحق عبارة لائقة . فان اثني عشر لصاً هاجموا البرهمي في ضواحي المدينة ولم يكن هناك سواي فبادرت الى نجدته مع اني لم اكن اعرفه قبلاً ولم ابحث في العادة الى حماية لائقة لي كي استطيع ان اطلق النار ذات اليمين وذات اليسار وان اعيد حشو مسدسي باسرع ما يمكن فصرعت رجلاً بكل طلق ولا استحق الاعجاب بهذا لان اللصوص كانوا قريبين مني حتى لم يمكني ان اخطئهم فقتلت خمسة منهم وقتل السادس اثناء نقله الى المستشفى وفر الباقون هاربين

فابتسم نكارتر وقال له اذن فانا لا اؤثر ان ازعجك ما دام مسدسك في يدك لانك تبلغ به ما تريد

— دعنا من هذا فلو كان لي جرأة ان استخدم مسدسي منذ ثمانية ايام لما رأيتني اليوم آتياً لازعجك لاني كنت اوقفت كقاتل . ولنرجع الآن الى تتمة الحديث في اليوم الذي تلا الواقعة اتاني البرهمي المعروف وكان يريد ان يقدم لي هدية دليلاً على شكره فاعطاني علبة صغيرة وقال لي ان ضمنها الماسة المعروفة في الهند بعين الشيطان ثم قال لي ان هذه الماسة ذات قيمة لا تقدر يا صاحبي واشير عليك ان تبارح الهند بعد الآن حياة الذي يملك هذه الماسة في خطر شديد لان جميع الطبقات في الهند تعرفها

وكثيراً ما اثارت الهزات الدموية في سبيل امتلاكها . ثم ذهب الدهمي وتركني ذاهلاً والصندوق في يدي وعندما فتحته وجدت فيه ماسة كبيرة الحجم جداً لم تقطع بعد وتكاد لا تعرف لما لها الشدة ثقلها . وعندها لم ادر ماذا افعل ولما استشرت كبار الجوهريين في كلكتا واخبروني عن قيمتها الحقيقية بهت تعجباً . ولم تعد حياة تاجر في الهند تطيب لي لبعث مقتنياتي وعدت الى الولايات المتحدة آملاً ان اقطع الحجر وابيعه باغلى ما يتيسر لي

فسأله نكارتر وهل تقطن في كولورادو

— لا . اني لم اقطن في مدينة بعد لانني لم اترك الهند منذ اكثر من شهر وقد جئت من بوسطن الى كولورادو

قبل ان انزح الى الهند اقمت عدة سنوات في هذه البلدة عمالي اوفق الى حشد ثروة واتخذت اصدقاء كثيرين وفي هذه الاونة لم يسمح لي قلبي ان امر في مقاطعة كولورادو دون ان اذهب لزيارة اصدقائي القدماء

وحين نمي اليّ ان الذين [illegible] هذه المدينة القيت فيها عصا التسيار

وقد مضى لي هذا الاسبوع وفي اليوم التالي من وصولي دعوت صدقائي الى العشاء في الفندق فلبوا دعوتي وخصصت غرفة للعشاء . . . . . ان هذه الصدفة عجيبة انا كنا جالسين في هذه الغرفة عينها ذلك اليوم المشؤوم

فقال البوليس ان الامر ذو شأن خطير . اللهم لا ريب انك اريت الحجر الكريم الى اصدقائك

— نعم وأخفاه

— اذن فاخبرني بالتدقيق عن المدعوين الذين حضروا العشاء

— حبا وكرامة . كانت المنضدة « الطاولة » موضوعة في الزاوية حيث يجلس المسيو باسي الآن . وكان الخادم قد وضعها اولاً في وسط الغرفة كما تروها الساعة ولكنني نقلتها من موضعها لانه كان يمكن القاطنين في الجوار ان يروا كل ما نفعله اذ بقيت المنضدة في محلها فغيرت وضعها وجلست قرب هذين الزرين اللذين تراهما في الحائط واللذان تعرفان احدهما لاستدعاء الخادم والآخر لانارة المصابيح الكهربائية واطفائها . هذا هو السبب الذي دعاني الى وضع المنضدة هنا فقصصته عليك لانك تود ان تعرف كل ما جرى بالتفصيل وعندما وصل اصدقائي الثلاثة جلسنا الى المنضدة

فقاطعه نكارتر وقال له هل كانوا ثلاثة انك لم تذكر لي حتى الآن سوى اثنين منهما

— هذه هي الحقيقة، ولكن واحداً منهما احضر معه شريكه الاعمى فجلست قرب الحائط حتى يسهل علي استدعاء الخادم بتحريك اللولب وجلس امامي كراب الرجل الاعمى وكان عن يميني شريكه ماثيو وعن يساري صديقي المدعو دونلسون

— ارجوك ان تعرفني باسماء اصدقائك الاربعة

— فرانك ماثيو وجورج دونلسون اما كراب فاظن انه يدعى يوحنا

— وردد البوليس لفظة جورج دونلسون وهو يلتفت الى معاونه بانسي الذي كان الى جانبه، ثم سأل دلمار ما هي صنعة هذا الرجل

— يقوم بمشاريع كثيرة يؤمل منها ان يكتشف مناجم غاز

— حسناً كنت ظننت انه هو هو وتراني مسروراً جداً لانني اسمع عنه شيئاً

فتعجب دلمار وسأل نكارتر قائلاً وهل كنت تعرفه قبلاً

كلا ولكنني اود كثيراً ان اتعرف اليه وسنتكلم عنه فيما بعد .... ارجوك الآن ان تتم حديثك

والذي دفع نكارتر الى السؤال عن دونلسون هو ان هذا الاخير كان له ضلع في كثير من الجرائم الفظيعة من قتل وسرقة بالتحريض والاغراء دون ان يعلم بها البوليس وكان هذا الداهية المحتال ينسل من وصمتها ولو علم بها البوليس لقادته الى السجن او الى الكرسي الكهربائي (آلة الاعدام)

وكان نكارتر وبانسي هما الوحيدان اللذان قدرا ان يكتشفا اسرار فعاله. ولكنهما لم يكشفا امراً آملين ان يقبضا يوماً على الشرير ويدعيا عليه بالبراهين الجلية

ثم عاد دلمار واستأنف حديثه فقال: وانتهى العشاء كما تنتهي الولائم في الفنادق عادة وبعد ان رفع الخدم المائدة وقدموا القهوة واللفائف « السكاير » اخرجت الماسة من جيبي. فتناولتها الايدي والكل يعجبون بها وسمع كراب الاعمى ذلك واذ لم يكن قادراً ان يبصرها اراد ان يمسها على الاقل. وبعد ان جسها وضعها بقربي على المائدة ولا اني اذكر كل حركة جرت عندئذ فقد نظرت كراب المسكين يقلب وعاء السكر فمد ماثيو يده ليناولني الحجر الكريم وسمعت رنته حين وضعه امامي. وبقي على المائدة هنيهة يسيرة سألني في اثنائها اصدقائي الف سؤال عن تاريخ هذا الحجر لم اجد مانعاً من اخبارهم بكل ما جرى فقصصت عليهم كل ما اعرفه من تاريخ الماسة وكيف

اتصلت بي .. فقصصت عليهم كل هذا باخلاص وبساطة شأن الاصدقاء

واخيراً فرغت الاقداح فضغطت على زر الجرس الكهربائي لاستدعي الخادم وكان في نيتي ان اقدم الى المدعوين قدحاً من الكونياك الفاخر . ومع هذا لم اول اصدقائي ظهري قط لانني لم اشأ ان أحول نظري عن الماسة ولكن لنكد طالعي ضغطت على زر الكهربائية والحال استولى على الغرفة ظلام دامس لم يستمر بضع ثوان احدث في خلالها النور الكهربائي ولو قدر لي ان اعيش مئة سنة لم انس اليأس الذي اخذ بخناقي عندما القيت نظري على المنضدة فوجدت الماسة قد اختفت

وحين وصل دلمار الى هذا الحد من حديثه الى يده على جبينه وانقطع عن الكلام

فقال نكارتر لو لم تأت الي اليوم وتقص علي هذا الخبر لكنت اولـــ ان احد اصدقائك سرق الحجر

فقال دلمار هذا هو فكري بتمامه

فاجاب نكارتر نعم ولكنك اذ لم تفتشهم حالاً صار الواجب علينا الآن ان اختفاء الماسة سر غامض

فسأل دلمار وكيف هذا اني لا افهم شيئاً

فقال نكارتر ان المسألة واضحة كل الوضوح وهو ان رجلاً يجيد استعمال المسدس مثلك كان من الواجب عليه ان لا يدع شيئاً ثميناً كهذا يفقد من دون ان يطلق طلقاً او ينبس ببنت شفة بل كان يفتش حالاً في الموضع الذي وضع فيه الحجر لان الحجارة الكريمة لا تسرق نفسها في ما اعلم

فقالـــ دلمار اني اخبرتك اني حزين لانني لم امد الى المسدس فقد اخرجته من جيبي ولكنني لم اطلق النار . على ان الماسة اختفت كما قلت بطريقة مدهشة خفية للغاية فانها لا تسرق نفسها كما قلت وبالتالي لم اجد طريقة اوضح فيها هذا الابهام

— فخبرني بالتفصيل والتدقيق عما جربته عندما فقدت الماسة

— إذن فاسمع اول ما وقعت الخاطر على ذهني وكانت يده على شفتيه تنزع السيكار الذي كان يدخنه دون انقطاع . وكانت مظاهر الدهش تعلوه فعزوت هذه المظاهر الى ما ناله من صدمة فقد الماسة وكانت يده تنثني على المنضدة

وكان دوطسون يرسل الي نظرات يسرقها فانتبهت في الحال ويعسر علي الآن وصف هيئته وصفاً مدققاً ولكنني اذكر ما لي ان كانت عيناه موجهتين الى موضع الماسة تواً

وكانت يده اليسرى قابضة على المنشفة ومضطربة بعمل عصبي ويده اليمنى موضوعة على زجاجة خمر فارغة وكان جالساً على كرسيه في المؤخرة بعيداً جداً عن الطاولة . اما كراب الاعمى فكان على شفتيه كأس ماء وكانت عيناه متجهتين الى القدح ونظرت رماد سيكارته تتساقط على المنشفة بينما كان يشرب الماء . وكل هذا اذكره تماماً . ثم وضع القدح على المائدة وكان فيه بقية ماء اضطربت ثواني قليلة ثم سكنت

— ان وصفك تام مدقق فلننظر الآن في شأن دونلسون وقد قلت لي انه كان بعيداً جداً عن المائدة

— نعم وكانت نظراته تشف عما في صدره

— يظهر انه اغتنم فرصة الظلام فسرق الماسة أليس كذلك

كان ذلك كما تقول . وكان له هيئة تشبه هيئة الثعلب الذي سقط في فخ

— وهل كان جالساً على مقعده بدون اهتمام عندما اظلمت الغرفة

— اظن ذلك

ففكر البوليس لحظة ثم قال

يمكنني ان اتصور الآن كيف جرت الحوادث فان دونلسون نظر اختفاء الماسة

— لا لا قال دلار وكان يتزايد اضطرابه العصبي انا لا اعتقد بهذا ولكنني اظن ان دنلسون هو السارق وهذا الشك يتزايد في خاطري فقال له نكارتر املك روعك فانك قد قصصت علي الاخبار بدقة وتفصيل نادر فلا تشوش حديثك بالاضطراب . فلنفكر بكل هذه الشؤون ولنمعن النظر فيها بهدو وسكينة

فتضجر دلار وقال سابذل جهدي لاتباع نصيحتك فماذا تريد ان اخبرك الآن

— اريد ان تخبرني ماذا قال اصدقاؤك عندما القيت الشبهة على احدهم وماذا صنعوا ليعينوك على اكتشاف السارق

— فقال دلار انني نظرت الى دونلسون فوجدت الوانه متغيرة لانه لحظ انني اتهمه بالسرقه

فقال لي لا توجه الي هذه النظرات يا دلار

— انني لا احب هذا النوع من اللهو . قلت هذا بصوت اجش والقيت عليه نظرات لا تسر

ونظرت بعدها الى مايو ثم قلت

فقال لي ماستي ان المسألة خطيرة اكثر من ان تجعل موضوعاً للهو والمزاح فالذي اخذ الماسة عليه ان يعيدها حالاً الى موضعها وفي هذه اللحظة دخل كرايتن الخادم وقال والعشاء حاضر على وجوه واجمة ولما جرى

ثم التفت الى بنكرتن قائلاً ان ماستي فقدت في اللحظات القليلة التي اخترقها الظلام في الغرفة وان احد اصدقائي قد سلبها وكان هذا الرجل لم يبرح تلك الساعة بيننا من القضية حتى انه لا يقدر ان يتمم الخطة الاولى فكان من الواجب علي ان اوضح الامر عند احد الثلاثة ... سرية

فقال كل من دوناسون ووالترز الذي لم اقطعها بالوفاق بيننا كان كراب يقول ان هذا النوع من المزاح سيء جداً وانه شعر بالحاق في من الكدر الشديد

ويمكنكم ان تتصوروا ما الم بقلبي من الانفعال . ولم يكن من الممكن ان تفقد الماسة في وسط المشكوك . كنا اربعة في الغرفة ولا يخامرني الا السرقة حتى كنت في الشك في ان يكون السارق احد الثلاثة . ان فقدان الماسة اثر في ...اً عظيماً ولكن شعوري بان هذا العمل المعيب صدر من احد اصدقائي كان اشد ايلاماً .

وقال السفند شيئاً من ذلك نهضت ووضعت يدي في جرف المقعد الذي كان ... اجلس وقلت ... يكل من سادتي اصدقائي ... وكنتي ... ان اوضح لكم انه الماسة في عشر ثوان الى موضعها من ... فاني ... احد ... يدي واطلب منكم ... الاحياء .

ولم يتحرك احد منهم

عشر ثوان لا اطلب شيئاً الى كلفك يا مستر كارتر ولكنني انتظرتها كالاهم وحسبت انفاسي حتى انقضت الثانية العاشرة وكنت قد وضعت ساعتي امامي ولاحظت عقربها وانا اراقب ... من الحس

فقال ماستي انا لا ادخل في دائرة هذا الوصف ثم رمى نظاراته ووضع يده على صدره وقال ان هذا العمل الذي جرى لهو منكر للغاية ولكنني اومل الثقة لا تعتقد اني قادر ان . . . . .

فصرخ دوناسون وانا ايضاً وهو كل الرداء :

وفي هذه الحالة بدأت بالكلام فقلت لكراب الذي كان ينظر ... وقال اني لست صديقاً قديماً للدار فلذا كان فقد الماسة لا بد من ... الاولى ان الى التهمة على

فقال ماتيو إذن يكون محتوماً فكيف يمكنك ايها المسكين ان تسرق شيئاً وانت على ما انت عليه من العاهات والضعف

فقال الاعمى بلطف من المؤكد انني لم اسرق الحجر الكريم ولكن دعوني مع هذا انكر انا اعرف ان الشبهات يجب ان تقع علي بالاكثر . كما كنت افعل لو كنت موضع دهش ولهذا فانا ارجوه ان يفتشني

ثم نهض واقترب مني وهو يتلمس طرف المنضدة في سيره

وكنت اراقب الاثنين الآخرين فلما وجدت انهما لم يتأثرا فلاحظت صداقتي لهما ومرت كلمة وزاد في نفسي الريب فقلت لهما : انا اعقل من ان اشك في هذا الاعمى او يخيل لي انه السارق ولكنني اذ رأيتكما لم تتأثرا ولم تتحركا فقد عزمت ان اتبع مقالته بالحرف

فارتجف دنمسون وظهر الغضب على وجهه وصرخ هل تريد ان تشك بي

فقلت له بلهجة الآمر اجلس في محلك والحال سحبت مسدسي ووجهته اليه وانت تعلم يا مسيو كارتر انني بالمسدس ذاته قد هزمت لصوص كلكتا وماليس طريقة مقاومته له بعد ثم ناديت دونلسون اياك والحراك والا فانت هالك لا محالة فسقط على كرسيه وتناول الباقة شعلها ولم يقل شيئاً ثم عرفت بعد ذلك انه لم يكن ناقلاً سلاحاً ناريا وكان ماتيو اعزل ايضاً ولكن كراب كان مسلحاً

فصاح نكارتر آه واي سلاح كان مع الاعمى ان هذا لغريب

— مسدساً من اشهر المعامل

فظهرت على محيا البوليس امارات البهتة

— هذا غريب أليس كذلك وقد فكرت مليا في معنى وجود المسدس في جيب هذا الاعمى فقال لي وهو يتبسم انه يصحب السلاح ليدافع عن نفسه اذا تعرض له احد وانه كثيراً ما يهزم عدوه باطلاق النار في الهواء . ثم وضع مسدسه على المنضدة وطلب مني ان افتش جيوبه كلها ففتشت ما طلبه بعد ان وضعت مسدسي على مقربة مني ليسهل علي استعماله اذا هم احد الاثنين بأمة ولكنا لم نصل الى هذا الحد

ولما لم اجد ماستي في جيوب الاعمى اعدت اليه بعض ثيابه التي كنت اخذتها ثم عاد الى موضعه وهو يستعين بالارتكاء على طرف المنضدة والتفت الى دويلسون وقلت له قد حانت نوبتك فانهض وهو مصفر كالميت . حتى خيل لي انه لم يبق نقطة دم في عروقه وصرخ ان هذا لا يليق بي انني لم آخذ ماستك وانا لا اسمح لك ان تفتشني

فلم اجبه ولكنني رفعت مسدسي نحوه فتناول زجاجة فارغة من المائدة واراد أن يرميني بها . وكنت اسرع منه، فاطلقت النار . فاصابت رصاصتي عنق الزجاجة ومرت بين اصابعه وهو الرجل الذي وجهت اليه الكرة فانكسرت الزجاجة وسقطت كسرها على المنضدة وقد اتممت بهذا الخطة التي رسمتها لنفسي فانني كنت اريد ان ابين له انني قادر على قتله فاستمر دولسون واقفاً عاجزاً ان يرفع ذراعيه وظل قابضاً على عنق الزجاجة باصابعه المتشنجة لان ضربتي كانت قد ارعبته وكان ابوت قد نهض في هذه الاثناء فصحت به مكانك فلبث صاغراً وعاد الى مجلسه اما كراب فكان يدخن وهو رابط الجاش ساكن كأنه لم يسمع شيئاً ثم قلت لدولسون يجب عليك ان تذعن للتفتيش . واعلمك اذا كنت حريصاً على حياتك ان تنزع ثيابك دون تذمر ولا ممانعة فقد فرغ صبري وضاق صدري

وفي هذه الخطة قرع الباب ففتحت واذا بخادم الفندق جاء على صوت اطلاق الرصاص فقلت له ان مسدسي انطلق عرضاً ولم يسبب ادنى ضرر فعاد من حيث اتى واغلق الباب . فقلت لدولسون بلهجة التهديد اما إذا انطلق عرضاً مرة ثانية فسيردي رجلاً منكم

وكان من شأن النظرات التي ارسلتها الى دولسون ان اقنعته بعزمي فاطاع الامر وبدأ بخلع ثيابه . وبالاختصار فانني جردته من ثيابه ولمست مجاسده بيدي وفتشت جيوبه بدقة ولكنني كنت احس بانني لم اجد شيئاً . وكان دولسون يخشى ان تأخذني الحدة فتطلق من يدي رصاصة تكون القاضية عليه

يقولون في المثل ان النتائج الجيدة تحصل في المرة الثالثة ولهذا اوعزت الى ابوت حان دورك لتجرد ثيابك

وكان يشعر دولسون بشدة تأثره ولكنه لم يجد مفراً من ذلك فتقدم الى وسط الغرفة وبدأ بنزع ثيابه

فوجدت جيوبه خالية من جيوب دولسون وعندئذ اخذني دوار شديد شعرت معه ان كل ما في الغرفة يتحرك ويضطرب والمقاعد تتراقص وقد خارت قواي ولحسن الحظ لم يشعر اصدقائي بما آلت اليه حالي من الضعف والوهن . وقبل ان يبدأ دولسون بالكلام كنت شفيت من هذا الدوار

فقال لي دولسون بصوت أبح ضع حداً لهذه الوقاحة . ها ها [illegible]

لانك لم تبلغ درجة من الصحة تأمره فيها بنزع ثيابه»

وعندما اتم دونياسون حديثه نهض كراب وكان حتى الساعة جالساً على كرسيه بسكينة تامة يدخن سيكاره فيتصاعد منها الدخان كما يتصاعد من مدخنة المعمل

ووضع لفافته . . . واني لا ازال اذكر كيف كان يمر بيده على المنضدة بعد المنفضة ولم يبد عليه اقل انزعاج ثم قال بصوت منخفض انا عالم ماذا يراد مني ولحسن الحظ ان ذلك سهل جداً علي لانني اعمى

وحين قال هذه الكلمات بدأ بنزع ثيابه فآلمني هذا المنظر واخذتني الشفقة على ذلك المسكين وكنت مزمعاً ان امنعه من ذلك ولكن امارات الاستهزاء التي بدت على وجه دونياسون ومائير واتهامي بالسرقة هيجا غضبي فغلى الدم في عروقي وعوضاً ان امانع كراب اوعزت اليه بالاسراع

وفي بضع دقائق كنت قد فتشت جميع اثوابه . ولكن جميع التنقيب الذي اجريته لم يجدني شيئاً وظلت الماسة مفقودة ويصعب علي ان اقول انني كنت آمل ان اجدها مع كراب ولكنني اخذلت ثانية

وفي هذه المرة سمعت صوت دونياسون وهو يقول بلهجة كئيب .

والآن فانك قد اكتفيت من اهانتنا ففتش تحت المنضدة عساك ترى شيئاً

ولم يكن هذا الفكر قد خطر لي قبلاً . فشعرت بحمرة الخجل تعلو وجهي ولاح لي في ظلمات اليأس برق من الرجاء

وحين ارجعت المنضدة قليلاً كي لا تعيقني في عملي وانحنيت على البساط محدقاً فيه كنت افكر باي طريقة اعتذر لاصدقائي اذ كان من المحتمل ان اكون انا ذاتي اوقعت الماسة على الارض حين التفت لاضغط الزر . ولكن يا للأسف فانني لم اكد ارسل نظرة الى ذلك البساط حتى تلاشى آخر رجاء ولم اقف للماسة على اثر

وعندما استفزني غضب شديد فاندفعت بحدة شديدة أبحث في جيوبهم لان الرجال الذين اعتبرتهم اصدقائي ودعوتهم ليقاسموني المسرة والصفاء . فذهب كل ما بذلته من الجهد ادراج الرياح ولم اعثر بضالتي

وهكذا فقدت ماستي الثمينة . الماسة التي كنت افتخر بها فقدت ولست ادري ماذا جرى بها

وحين بلغ هذا الحد من خطابه سكت قليلاً واخذ يمسح العرق البارد المتصبب على جبهته ثم سقط على مقعده ذاهلاً وكان قد توقف حين استفزته الحدة اثناء الحديث

— فقال تكارتر انها لقصة غريبة وانا اود ان اعلم كيف انتهي الامر وهز رأسه وبعد ان تنهد تنهداً عميقاً عاد الى حديثه فقال : ولما وجدت ان علي ذهاب صديقي الثلاث في مقعدي خلف المنضدة وادرت وجهي اليهم

ولما اصبرت النظرات الخبيثة التي كان يرشقني بها كل من دوبلسون وماتيو احتطت لنفسي فجلست وراء المنضدة والمسدس في يدي اليمنى

وكنت الاحظ هؤلاء الرجال وهم يتشاورون باعينهم . ولم ينطقوا بكلمة واحدة لانهم على ما اظن لم يجدوا كلاماً يعبر عما في نفسهم من شدة الانفعال لاخافتي الامر اذا كانوا حقيقة ابرياء

وانتهى بي اعمال الروية الى الافتكار ان واحداً منهما سلب التاسمة بالحجب حتى ناهض ومهارة تامة حتى خفيت فعلته عن صديقه الآخر وبل كل بعد وجدت من المناسب ان اسعى لاعادة الصلات الحبية التي كانت قائمة حتى تلك الساعة فقلت لهم :

يا اصدقائي الاعزاء ان الحادثة التي جرت لقد آذت قلبي ولو علمتم عظم الخسارة التي حلت بي لصفحتم لي عن الغلطة الناشئة التي جرت لاخطائي . . .

فصرخ دوبلسون بغضب حقيقي عن عنف مؤثرة الاهتمام لم جنوت امامي مثل شبه لم يكف ذلك عن الاهانة التي الحقتني . كل علاقة بيننا قد توترت الى الآن والقلب الحب يقتضاها حاولت في الشارع ومسدسي في جيبي ضد الخطر

فالتفت حينئذ الى ماتيو وكان وجهه متغيراً ولكنه كان هادئاً فقال لي : اما انا فلا اتهدد ؟

لم يقل غير ذلك ولكنه لبث مفكراً فلو عرفت انه حقود لا يصفح لي من الاهانة وانه اصبح عدواً قاتلاً يعمل اكثر من دوبلسون فاولت منذ تلك الساعة احاذر ان اوجد في طريقه

اما الاخير المسكين الذي لم اعرفه قبلاً فكنت لا اقدر على خيار النظر اليه فجلس في المقعد ولم يأت بحركة حتى تمكن الثلاثة لبسهم وهموا بالخروج فقال دوبلسون وصوته يتهدج من الغضب : أتأذن لي الآن بالانصراف

اما ماتيو فلم يقل شيئاً بل كان ينظر كراب الذي تأخر في الاكتساء تقدمه كي يقوده الى خارج الغرفة . ولما اشتد تقدمه الى الباب وخطوات متثاقلة حاول ماتيو ان يقوده خارجاً ولكنه دفع الذراع التي مدها اليه صديقه وقال له :

انتظرني دقيقة ايضاً يا فرانك

ثم خاطبني قائلاً .

ان هذه الحادثة قد ازعجتنا جميعاً ولكنني لا احقد عليك لانني اقدر ان اتمثل حقيقة نفسك فانا معذرك غير اني ارجوك ان لا تظن بي سوءا

وهذه الكلمات التي لفظها ذلك المسكين اذابتني خجلاً لانني لم اكن مستحقاً هذا التلطف بعد ان عاملته بخشونة كما عاملت رفيقيه فاجبته

تأكد يا مسيو كراب انني كنت راغباً ان لا افتشك لولا اصرار دولسون

فقال الاعمى لا شك عندي بذلك ومهما يكن من الامر فاني لا انطوي على الضغينة في صدري

ثم مددنا يدينا وتصافحنا مصافحة الاخاء وبعد ان حييته واجاب تحيتي قال لي اليك كلمة ايضاً وبعدها اذهب : ان الحادثة التي جرت في هذه الليلة قد ضيقت صدري فادركني بقدح من الماء فاستغربت هذا الطلب لان حلقي كان يلتهب من الظما فقلت له ان آنية الماء قد انكسرت فهل لك في قدح خمر او غيره من المشروبات

فقال شكراً لك اذ لا حاجة لي بذلك . ولعلك تجد بقية ماء في قدحي

فاخذت القدح وناولته اياه

فشكرني وهو يأخذ القدح وبعد ان شرب السؤر وضعه على المائدة وتأبط ذراع ماليو وخرجا سوية من الفندق وكان بودي ان يكلمني فوقف الكلام على شفتيه

ثم سقطت على مقعدي خائر القوى واحاطت بي ظلمات متراكبة من اليأس

وان الفكر الذي كان يدور في خلدي من ان السارق احد هؤلاء الثلاثة لم يبارحني لحظة . وكانت شبهاتي تقع على دولسون ومع هذا لم ار بداً من التسليم انه من المحتمل ان يكون الثلاثة شركاء في السرقة قد اتفقوا من قبل ان يلعبوا بي هذه اللعبة المشؤومة فقلت اذا كان الامر هكذا فانهم لا يلبثون بعد خروجهم من الفندق ان يتشاوروا او يتنازعوا والحال نهضت ومشيت على اطراف اصابعي [illegible] ان احدث اقل صوت ومشيت في الرواق فادركت ماليو وكراب في منتصف السلم وظلا ماشيين لم يكلما كلمة حتى بلغا الباب الخارجي . . فعندئذ قال ماليو لكراب

هاهنا عربة وساعينك على الصعود اليها واعين السائق المحل الذي تروم ان تقصده

واما انا فلا اود ان ادخل البيت حالاً لانني مازلت متهيجاً جداً

فاجاب الآخر حسناً اني اعرف ذلك ولكن اياك ان تأخذك الحدة والطيش بسبب هذه الحادثة اتهمت بالقرائن

ثم تبعه ماتيو

ثم نظرت كراب يصعد الى العربة وصديقه يري السائق الجهة التي يجب ان يقصدها فسارت العربة من الجهة المعينة وسار ماتيو الى الجهة المعارضة حيث كان دوبلسون ينتظره من كثب

وفي الرحلة المذكورة سار الرجلان بضع دقائق واحدهما بجانب الآخر ثم شرعا بالكلام معاً وكان خطابهما واحداً تقريباً

— هل انت أخذت الماسة يا جورج (سأل ماتيو)

— هل انت اخذت الماسة يا ماتيو (سأل جورج)

ان صدور السؤالين في وقت واحد وتركيب واحد تقريباً لم يغير شيئاً من جمود الرجلين . ولكن دوبلسون اقل صبراً من رفيقه فاجاب قائلاً

لو كنت الشاري لأخذت الماسة

فقال ماتيو ولا انا ايضاً . وليس في وسعنا ان نقول ان كراب هو السارق لاننا اذا فرضنا انه هو كذلك فلا حاجة له بذلك

فاجاب دوبلسون وانا اسلم بذلك ولكن ما هي هذه اليد الخفية التي سرقت تلك الماسة الشيطانية

فقال ماتيو يخطر لي ان دوبار خولنا في غفلة فلا يبعد ان يكون وضع الماسة في جيبه واظن انه تخلص منها بعد ان تركنا

فصرخ دوبلسون اني امتنعت عن طلب خاطر اذا تم التفتيش ووجد هذا التعيس ماسته في جيبه

فسأله ماتيو أيسرك ذلك ولماذا

فاجاب دوبلسون الست تعرف لماذا ؟ فلها رائحة شديدة مخيفة حتى اني ابتعدت رغم ارادتي

ثم تم حديثه قائلاً : لانني بعد ان حدث ما حدث البارحة اريد ان اعرف موضع الماسة حتى احول ظنه الى حقيقة

فقال ماتيو هذا ما اقصده لاني اذا تمكنت من ان اعرفه جيداً اعمل اللازم لعمله

بنا فيها لا اتأخر عن ذلك . فاتبعني الآن يا جورج لتروي لمأتا الشديد

وعندئذ سار صديقاي القديمان وذراعاهما ملتفتان احداهما على الاخرى

وانك ترى الآن يا مسيو كارتر انني قصصت عليك الحادثة بتفصيلها ولم اسقط حرفاً واحداً . وبذلت الجهد حتى لا ادع شيئاً دون ان اقصه عليك ولم اهمل امراً لم انبئك به ولو كان طفيفاً في الظاهر لانني اخشى ان يكون ذلك الامر مفتاح السر

وهنا سكت دكر كمن انهى حديثه

فسأله نيكارتر قد مر علي هذه الحوادث اسبوع اليس كذلك ؟

— نعم

— وانا اظن انك لم تفتر عن السعي في خلال هذه المدة لاستجلاء الغامض

— انا .. كنت جننت لو لم ادأب في السعي

— إذن فقل لي ماذا صنعت

— اني سأشرح لك ذلك بحرية تامة فقد تدرجت في الشوارع بحالة تشبه الجنون وقد ظهر لي انه من الممكن ان اكون انا نفسي قد وضعت الماسة في جيب من جيوبي فعدت مسرعاً الى حيث تناولنا طعام العشاء . وابتدأت افتش نفسي بدقة لا مزيد عليها فقلبت جيوبي جميعها ومزقت بطانة اثوابي وعريت من كل لباسي حتى صرت في حالة جدينا الاولين . وان خجلي من قص ذلك عليك لا يوازي خجلي من إخفاق مساعي . فقد اختفت الماسة ولم اقف لها على اثر

ولم اكد اتمم لبس ثيابي حتى قرع الباب ففتحته وإذا بخدام الفندق قادمين ليرتبوا الغرفة وبينما كانوا يدأبون في عملهم كنت اراقبهم بمزيد الانتباه واقول من المحال ان لا يجدوا الماسة

ولما انجز الخدام عملهم ولم يجدوا شيئاً خرجت اتجول في الشوارع وظللت نحواً من ساعتين . وكان الوقت الساعة التاسعة ليلاً . ثم وقفت بغتة لارى الجهة التي اسلك فيها وتطلعت فاذا انا امام مركز البوليس فهممت بالدخول لانهي عليه الواقعة . وبعد ان فكرت بهذا علمت ان لا رجاء لي بمساعدة البوليس العادي في هذه المسألة الغامضة . اذ ليس في يدي برهان يؤكد حدوث السرقة . ان الماسة فقدت دون شك ولكن بعد البحث المدقق الذي اجريته لم اجد محالاً لاتهام ضيوفي .

فاتممت نزهتي منفرداً وكان يأسي يزداد من حين الى آخر وكنت اعزي نفسي بان

فقدان الماسة لم يحملني هماً فما زالت ثروتي في كلكتا ولكن هذه التعزية كانت تزول حين كنت افتكر اني خسرت بضياع الماسة نحواً من نصف مليون دولار . ولا سيما عندما افتكر ان هذه الثروة الواسعة فقدت في بضع ثوان

فسأله نيكارتر وهل اخبرك الجوهريون في كلكتا انها تساوي هذا الثمن الفاحش

— نصف مليون ؟ هذا مؤكد وهو ليس ثمنها الفاحش بل المعتدل . وقد اخبروني ان الماسة اذا قطعت قطعاً لا يشوبه خطأ فان ثمنها يرتقي الى ثلاثة اضعاف هذه القيمة

— اذن انت تعتقد ان عين الشيطان تستحق العناء الذي ستصرفه في البحث عنها

— آه يا موسيو كارتر وهل تريد ان تتولى امر البحث عنها

— على الارجح . . . ولكنك لم تقل لي بعد ماذا عملت ولعلك قد عثرت على اثر يدلك على مكانها

— قد حزرت يا موسيو كارتر قد عثرت على ادلة عديدة ولكنك تعرف مالها من الصواب اكثر مني

بعد ان ادرت ظهري لمركز البوليس اتممت المسير فاجتزت المدينة وقبل الساعة الحادية عشرة وجدت نفسي امام محطة السكة الحديدية وابصرت عربة مقبلة تقل مسافراً . ولما وصلت قفز السائق الى الارض وساعد الراكب على النزول ولم يكن هذا الراكب سوى كراب الرجل الاعمى

فصرخ نيكارتر بالعجب

فابتسم دلمار عندما سمع ذلك وقال

ربما افتكرت انه اراد ان يهم بالسرقة واني اعتقد انه ربما كان هذا ممكناً وربما كان من الواجب علي ان استعمل المسدس ولكن اصغ : انني رأيت السائق يأخذ حقيبة كراب من العربة ثم امسكه بذراعه وقاده الى غرفة الانتظار . فكنت لهما الزم من ظلهما

ثم اخذه الى حيث قطع جوازاً الى بويبلو وكنت خلفه فسمعته يسأل المأمور عن ميعاد سفر القطار فاجابه سيقوم القطار الاول الى بويبلو بعد عشر دقائق

وفي هذه الاثناء كان السائق واقفاً وراء كراب ليقوده الى القطار وعندما اجتازا غرفة الانتظار اعوزتني الحكمة ولم املك نفسي فعارضتهما في الطريق

وقلت له وانا اشتعل من الغيظ

أسعدت صباحاً يا مسيو كراب

فحدق بي الاعمى وادار نحوي عينيه وظهر عليه انه عرف صوتي فقال وهو يتردد في القول :

يظهر لي اني اعرف صوتك · ألست المسيو دالتر · فهل خدعني سمعي

قلت له لا هو

— إذن قل لي بالله هل وجدت المرأة المسكينة تهديك خبرها

— فقلت لا وكنت أراقب ماذا يكون تأثير جوابي فيه

— ان هذا مكدر جداً · ان هذه الضربة هائلة

— نعم ولكن ليس في وسعي الا ان ألقى مصيبتي بالصبر · والآن فاني اراك على وشك السفر

نعم واأسفاه فاني وجدت في منزلي عند رجوعي اليه هذا النبأ البرقي الذي اجبرني ان اسافر مع القطار الاول

ودفع الي النبأ حين طلبته منه والا اعترف لك اني لم اتردد في قراءته بمزيد السرعة وكان من بوديلو وهذا نصه حرفياً :

« اختك في فراش الموت عجل بالحضور · عند الطبيب ا · م · بوردون »

فعزيته بكل ما حضرني من عبارات التعزية

فقال لي : منذ مدة كنت اتوقع ورود هذا النبأ · فوردني اليوم · وبما اني راحل فانا افكر حينئذ إذا ابلغتني بالدلائل التي تبدو لك والآثار التي تهتدي اليها وانت تعرف السبب الذي يهيج هذه الرغبة في نفسي

فاجبته : فليكن · نعم اعرفه جيداً

ثم قال بعد ان اواري اختي المسكينة في التراب اعود الى هنا ولديك عنوان اقامتي فارجوك ان تواصلني بما يجد معك في هذا الشأن

فوعدته ان انبئه بكل ما يحدث

فاستتبع حديثه قائلاً ان اقامتي في بوديلو ستكون في بيت اختي · فاذا اتضح لك كيف اختفت ماستك او اذا وجدتها كما اتمنى لك — فستكون لك علي يد بيضاء اذا انبأتني على لسان البرق لانك تعلم انه ما زالت ستور الخفاء مسدولة على هذه المعضلة

نظل العلائق بيني وبين صديقي ماتيو متوترة وان هذا يحزنني لانني كنت واياه دائما صديقين حميمين .

فهممت ان اخبره بما قاله عنه ماتيو ودويلسون بعد خروجهما من الفندق ولكنني آثرت الرصانة والسكوت واقتصرت على نسخ العنوان الذي اعطانيه كراب

وبعد ذلك صافحني وقاده السائق الى الرصيف حيث كان القطار مزمعاً ان يقف .

وعدت الى الفندق وفي اثناء عودتي عولت ان اراقب دويلسون وماتيو وعبثاً كنت احاول ان اطرد هذا الفكر عن خاطري وهو ان احدهما كان السارق

وبينما انا اسير صادفتهما في الطريق ولكنهما لم يرياني فتبعتهما على بضع خطوات وانا احذر كل ما من شأنه ان ينبههما الى وجودي

وكانا آتيين من النادي دون شك ووجهاهما مقطبان فتبعتهما وما زالا سائرين حتى وصلا الى المنزل الذي يقطنه كراب وكان لماتيو غرفة هناك ايضاً ففتح ماتيو الباب بمفتاح اخرجه من جيبه ودخل الرجلان

فلم يمكثا اكثر من خمس دقائق

وكنت لحظت ان النور قد اضيء واطفئ بسرعة في ثلاث من الغرف او اربع فدل ذلك على انهما كانا يفتشان عن ماتيو الذي لم يلقياه بعد خبر سفره الفجائي

قال ماتيو وهما يهرولان الى الشارع ان القطار قد تحرك [illegible] من ربع ساعة تقريباً

فاجابه دويلسون نعم ان هذا الفاجر قد بعد مسافة طويلة فقال ماتيو ولكن لحسن الحظ ان اللحاق به سهل

وهذا كل ما قدرت ان اسمعه من الحادثة وكان من المؤكد عندي انهما يتكلمان عن كراب ولكنني لم اعرف هل كانا ينظران ماستي وهما يتكلمان . هذا ما اترك حله لك يا مستر كارتر

ثم دخلا مسرعين الى بيت آخر وقد فهمت بعد ذلك انه مسكن كليبور شريك دويلسون فلم احفل بهذا الاخير لانني لم اعلم كيف يكون له دخل في سرقة الماسة

فقاطعه نيكارتر قائلاً حسناً حسناً انك انت لا تعرف كليبور ولكننا نحن نعرفه فهو متهم بالتحريض والاغراء على كثير من حوادث القتل والسرقة وهو الآن في الحبس ينتظر جزاءه وان علاقته مع صديقك دويلسون كانت تدلني على ان في حياة هذا الاخير اموراً خفية غامضة ولكن ارجوك ان تتم حديثك الآن

فاستأنف دلار الكلام وقال انني انتظرت ساعة قرب بيت كليجور فخرج بعدها الاثنان ولكنهما انفصلا في اول محطة من الشارع فتبعت دولسون الذي عاد الى منزله • اما ماثيو فلا اعلم اين انتهى به السير ولم انظره بعد ذلك ولكنني ارجح انه ذهب في اليوم التالي الى بويبلو ليلاقي كراب هناك

اما دولسون فقد اقام عامة اليوم التالي في مكتب المحل الذي يديره هو وشريكه كليجور

وفي اليوم التالي نظرت صدفة ان دولسون اخذ رسالة برقية وبعد ان قرأها ظهرت في وجهه علائم الاهتمام والتأمل ولم اقدر ان اعرف مصدر الرسالة ولا محتوياتها ولكنني اعرف انني رأيت دولسون في اليوم التالي ولما ذهبت في اليوم الثالث اطلبه في محله اخبروني انه سافر الى بويبلو • وبالطبع ركبت انا ايضاً القطار الاول وتبعته

فقال نيكارتر انه تفكر في غاية السداد فماذا اكتشفت هناك

— لا شيء • لا شيء • اجاب دلار انني رمت ان اذهب الى المحل الذي اعطاني كراب نمرته ولكنني فهمت انه لا يوجد بيت في المدينة بهذا العنوان • وكان الشارع موجوداً فقط ولكن النمرة التي هي كانت عنوان ارض ما زالت خالية من البناء ولم يكن هناك بيت الى بعد مئة خطوة من جميع الجهات

فطفت جميع المحلات في سمت النمرة فسألت عن احد التي كانت على فراش الموت فلم اسمع احد يتكلم عن امرأة ماتت او اشرفت على الموت فسألت عن الطبيب ا • م • كوردون فلم يكن حظ هذا من الوجود اكثر من حظ الاخت الموهومة

فلم يبق لي الآن اسأل عنه فسألت مأموري المحطة هل شاهدوا رجلاً اعمى نزل في الليل من القطار قادماً من نيويورك ووصفت لهم ملامحه

فلم يذكر احد في المحطة انه شاهد رجلاً اعمى بهذه الملامح وبالاختصار فانني قد اضعت يومين في بويبلو وانا افتش دون طائل

فعزمت على ان اقصد مركز البوليس واشرح له خبر السرقة وكل ما يتعلق بها • وحين قرأت في الجرائد اعمدة باسرها عنها اطراؤك والثناء عليك ووصف العمل العظيم الذي قمت به قبل الليلة السابقة وعلمت انك حضرت الى هنا عاد لي بعض الرجاء واتيت اليك لاعرض عليك القصة بجميع تفاصيلها

فقال البوليس لدلار اني اقدم لك تمجيدي وتهاني لانني قلما نظرت رجلاً قادراً مثلك على الاحاطة باطراف الموضوع واستقصاء شوارده وايضاح دقائقه ووصف دقيق طريقة

سهلة واضحة · وستفتقني بعد الآن الى عين الشيطان · واذا ساعدنا الحظ فانا نرجو ان نهتدي اليها

— اني اقدم لك عواطف الشكر التي تختلج في صميم الفؤاد · وارجوك ان تخبرني هل عزمت على السفر الى بويبلو

— على الارجح

— وهل تريد ان ارافقك

— لا ولكن اترك لي عنوانك واذا اضطررت الى الانتقال فابلغني ذلك · حتى تصلك جميع الرسائل والانباء البرقية التي يمكن ان ارسلها اليك · ولا اطلب منك غير هذا سوى ان تثق بي

وتم تحادث الثلاثة سوية بشأن الامور الجدية التي يقتضيها البحث والتنقيب · وبعد ذلك استأذن المالك الشرعي للماسة من البوليس الشهير ومعاونه وانصرف

وبعد ان خرج دخار التفت كارتر الى معاونه الشاب الايرلندي وقال له:

— ما رأيك في هذه القضية يا باتسي

— يظهر لي انها اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة فهل صدقتها يا استاذي

— صدقتها كما اصدق بالحياة الابدية التي لا اشك فيها لحظة

— اذا فرضنا هذا فكيف امكن الثلاثة ان يخطفوا الماسة

فضحك كارتر طويلاً ثم قال:

— يظهر لي انك تظنهم شركاء في الجريمة قد تعاقدوا عليها سابقاً

— إذن فماذا تريد ان اعتقد في شأن هذه الماسة التي اختفت وعفت آثارها

— اسمع يا باتسي اريد ان احدثك بشأنها ولكنني لا اتكلم عن لصوص

— عمن تتكلم أعن لص واحد

— نعم فانا اعتقد ان كراب هو السارق الوحيد

— ايمكن هذا · ايمكن هذا الاعمى ان يسلب الماسة وامامه ثلاثة رجال يبصرون

فقال كارتر ان كراب هو الذي اخذ الماسة قال هذا وهو يتظاهر بانه لم يسمع اعتراض المعاون ومع هذا فاظن انه لم يفكر ان سرقتها بامكانه لما قبل الدعوة ولا اصدق باتفاق سابق واؤكد لك ان دوايلسون وماتيو بريئان من وصمة السرقة وهما يعتقدان كما اعتقد ان كراب هو السارق · وقد هاجهما ما صادفاه من الاهانة فعزما على اتباع كراب واجباره

عَلَى رد المسروق او ان يقاصصهما عَلَى الاقل ولعل سفره الى نيويورك قد خدعهم

فاقتنع باتسي بتأكيدات استاذه وقال حسنًا يمكننا الآن ان نستنتج النتائج من هذه المقدمة وقد فهمت الآن معنى المحادثة التي دارت بين الرجلين امام الفندق

— وعلى ان سفر كراب الى نيويورك هو اعتراف ضمني بذنبه

ولهذا تبعه باتسي الى نيويورك حيث علم ان السبب الذي اتخذه الاعمى لسفره كان مختلقًا وهذا الذي عرفه دلار بعد بضعة ايام

— من الراجح ان يكون ماير مرسل النبأ الذي اعلم به دونيلدون كثيرًا · فسافر لينضم الى رفيقه في اللحاق بالاعمى

— احسنت يا باتسي هذا ما حدث برمته

— ولكن كيف قدر هذا الشيطان كراب ان يسرق الماسة عَلَى هذا الشكل الخفي الغامض حتى لم يقدر دلار ان يجدها في ثيابه حين فتشها

وبعد ان توقف لحظة عن الكلام ضرب بيده عَلَى جبهته ثم قال :

يخيل لي ان هذا الخبيث المحتال ليس اعمى

— حسنًا واي فرق في ذلك

فقال باتسي لا فرق وضاع سروره باكتشافه حقًا ان المحتالين سيان قبل ظني انه اعمى يا استاذ

ثم ساد سكون قطعته قهقهة باتسي الذي قال وهو يضحك

— آه · آه · ان تفتيشًا كالذي اجراه دلار لا يتفق حدوثه دائمًا · كلا كل رجال عارين كجدهم آدم قبل ان يخطئ حقًا انه منظر مضحك

فاجابه نكارتر ضاحكًا

لا اظن المشابهة تامة اذ ينقص الاخيرة قليل من الصحة

فعاد باتسي بحثهما الى الجد وقال

انا ارى يا استاذ انك فكرت لتبلغ نتيجة فبأي اسلوب تظن ان كراب سرق الماسة وتمكن من اخفائها

ولكنه اندهش عندما وجد ان كارتر اقتصر عَلَى الضحك وهو يرفع كتفيه ثم خاطبه قائلًا

يا عزيزي باتسي لم اعلم عن ذلك شيئًا

— فهذا ممكن

— نعم يمكنك ذلك ، فقد أرى في الأمر سراً لا أقدر أن أدركه حتى الساعة وأنا محتاج في حله الى تأمل طويل سأباشره الآن . على ولذلك ارجوك أن تكتمهم في عن مواعيد سفر القطر .

فذهب الشيخ مسرعاً الى مكتب المدير وهو لا يقوى على ضبط انفعالاته . فعلم قوم البوليس بخبره وبعد ما اخبر كنكار عن القطار الذي [illegible] قال بعقله .

أرى ان واحداً مما يكفي لمطاردة هذا الاعمى ما دامت الأدلة في وعدها والحق لا علم احد الرجلين وقال انه يحتمل ان تخاف هذا بالسرعة كما فكر قبلنا

فقال البوليس كن الآن من هذه الوجهة

ولم يكن يخطر في بال ماهر كنكار ان يظفر الرجل الاعمى وهو في الطريق الى [illegible] قبل ان يصل الى [illegible] طلب من السائق جواراً تاماً

ثم اكتفى البوليس بهذا التصريح وتوصل الى علم ما يأتي وهو انه في يومين منقضيين من الاسبوع الماضي كان في القطار مسافر [illegible] هذه الاربعة [illegible] ذلك انه [illegible] فيلم [illegible] ومن هناك سار [illegible] عن الاعمى

وبعد وقعة الكشف على الأثر الاعمى [illegible] الوحيد ، وعرف انه [illegible] محدودة ، [illegible] من قرية صغيرة عن قرب مقاطعة الاريزونا الشمالية ، وسافر من هناك مصحوباً بدليل [illegible] الى مرحلة وطلب منه [illegible] ما يعرفه عن الشخص الذي كان [illegible]

فقال الدليل :

— [illegible] مدة طويلة [illegible] بعد خمسة ايام من بدء السفر ، يمكنك ان تعود الآن ، فترددت في الرجوع وتركه [illegible] في اوحش قسم من الاريزونا ولكنه اصر على تركه وحده .

ففكر كنكار مليًّا في ما قاله الدليل ولم يفهم كيف ان رجلاً اعمى ضعيف القوة يود ان ينفرد في تلك البقعة الكثيرة الأخطار ، فسأل الدليل :

— هل تظن ان الرجل كان اعمى حقيقة

فقال الدليل كل الاعتقاد [illegible] بعض الحوادث التي جرت في الطريق والتي لا بد منها .

ثم استمع البوليس السير في طريقه

ولم يكن الذي يلقاه في الطريق قادراً ان يعرف هذا الرجل ذو الشهرة الواسعة في العالم والذي يختلف الى الاندية العليا في نيويورك وله المنزلة الرفيعة بين الارستوقراطيين لان كارتر تزيا بزي سكان الغابات فاتخذ هيئة متوحش يؤثر استعمال السلاح وخشونة العيش على رفاهية الحضارة

وكان جواده كريماً فاعمل في خاصرته المهماز ليبلغ ذلك الحقل الذي يكاد يكون في آخر الدنيا حيث فارق العليل كراب

وبينما كان يجد السير صادف فارساً مقبلاً عليه من الجهة المقابلة فناداه وهو يوقف مطيته قائلاً

ايها الغريب

فاوقف كارتر جواده وقال له

ماذا

— اعندك تبغ

— مؤكد . عندي قطع كبيرة

وكان نكارتر يعلم ان رجل الغابات يجب ان تكون معه مؤونة من التبغ يحملها معه كبيرة، مع انه لم يكن يستعمله

ثم اخذ قطعة من جيبه وقال للرجل خذ هذا التبغ وخذ حاجتك

فقال الرجل اشكرك ومد يده وحاول ان يقضم قطعة منه

فقال له نكارتر اقطعها الى قسمين لانك لا تزال بعيداً جداً عن العمران وفي ما اظن ان التبغ لا ينمو على الاشجار كما قيل لي منذ هنيهة

— انت محق . فانني طالما وجدت في هذه البقعة التي هجرها الله والناس وكان قد اخذ نصف قطعة التبغ ورد بقيتها الى نكارتر

فسأله البوليس : اذن انت تعرف المقاطعة

— نعم تقريباً الا تعرفها انت

— لا هذه هي المرة الاولى من مجيئي اليها

— في طلب الذهب

— ليس تماماً فانني الاحق رجلاً اعمى

— ماذا ان هذا غريب جداً

— نعم ان قدوم اخي اليّ في هذه المواضع الموحشة لهو غريب جداً ولكنه حدث قبل هذا الذي اريد ان اقوله ولكني اذكر شخصين استأجراني لخدمتهما كدليل وطباخ وهما ايضاً ماتا يفتشون عن اخي

— يا للشيطان . هذا ما سمعه صدفة قال ذلك نكارتر وهو يلفظ سلسلة من الاقسام تنبئ بسكون الغضب ثم سأل الرجل وما هي المسافة بينك وبينهما

— اظنهم اصدقاءك

— الرجلان فهما من معارفي

— حسناً انتم الثلاثة في هذه الحالة تطاردون شخصاً واحداً وهذا كل شيء

— اصبت ايها الشجاع . وعلينا ان نتبع هذا الاعمى حتى نظفر به ولو اضطرنا الامر ان نذهب الى نهاية العالم

— لتسترجعوا منه الماسة اليس كذلك

— نعم الى . . . وكيف عرفت ذلك

— اخبرني به صديقك

— حسناً ان هذه الماسة لا تخص الاعمى

فاغمض الرجل عينيه وبدأ يفكر وقد بحث في وجهه امارات الكرم ثم قال اصدق قولك ان الماسة لا تخص الاعمى . اذن هي ملك الذي يطاردها . ولكن هذا لا يعنيني حاول ان تجتمع باصدقائك

— يدهشني وقوفك على هذا السر

— لا غرابة في ذلك فالمسافرون اياماً عديدة في القفار تنشأ بينهم روابط شديدة . وقد كانا يتكلمان بادئ الامر سراً فكنت اصغي الى حديثهما ثم اخذت اسألهما واجاباني واطلعت على شيء من القصة شرحاها لي واخبراني منها بما كنت لم اعلمه بعد

— قصا عليك كيف سرق الاعمى ماستهما اليس كذلك

— نعم او بالاحرى ماسة احد اصدقائهما

فتعجب كارتر من ثرثرتهما وقال للرجل انا ادلك لم تحدثك

— آه . انت هو الصديق صاحب الماسة

— هذا ممكن انما لا انفيه

— حسناً فاسمع اذن ان كنت لا تريد ان تصادف رصاصة تورد حتفك فالاولى

دك ان لا تحاول الاجتماع بصديقيك . لان مصاحبتهما خطرة وقد شعرت بذلك ولهذا فارقتهما هذه الليلة

— يظهر لي انهما اخبراك بكل شيء وانا ارجوك ان تخبرني عن واسطة اتجنب بها ملاقاة هذه العصابة وان تحولني عن الطريق الذي سلكاه

فوضع الرجل كتفيه وقال ان فكر ملاحقتهما هو فكر جنوني . ولست اعلم ماذا تفعل اذا وجدت امام الشيوخ هذا اذا لم تعد الاعمى . انني تركت صديقيك اول البارحة فاذا اسرعت في السير نحو الشرق تصل الى مخاضة نزل فيها صديقاك وركبا النهر وسافرا

— اشكرك على هذه التعليمات

ثم حرك كارتر جواده ولما رآه الرجل سأله هل انت مصمم على التقدم

— بلا ريب

— حسناً فهل يلزم ان القي خبر موتك

— لا تعجل استودعك الله

— سر بالسلامة ايها الغريب واشكرك لي نيتك . لا اعطيك الا واحد ضد اثنين ما عدا الاعمى ولكنني اشتهي لك الفوز من قلبي

فارخى نكارتر لجواده العنان وبعد ان قطع نحو ميل التفت وهو على سرجه ونظر الرجل الذي كان يراقبه وهو يحدث في محله فقال البوليس في نفسه ان هذا الرجل ليس ابله كما اظهر لي والذي يحدثني انه سيكون لي وله شأن قبل ختام القصة . آه انما احد حمق هانبو ودولتسون اللذان يكشفان اسرارهما لكل سائل . واستمر البوليس في سيره حتى انتصف الليل واستراح قليلا ثم ركب جواده وعاد الى السير حتى وصل الى ضاحية كولورادو التي اهداه اليها الرجل ثم ربط جواده في جذع شجرة ثم اوقد قليلا من الحطب واعد لنفسه عشاء من المؤن التي اشتراها ثم التحف بغطائه وانطرح على الارض ليريح نفسه بضع ساعات من عناء النهار

وفي الثلاثة الايام الاخيرة من اقامته هناك مر عن بعد بثلاثة بيوت في دغل القفر ولم يعلم البعد بينها وبين اقرب عمران وعلم ان المكان الذي يختاره الاعمى ليكون فيه لا يتسنى لصحيحي النظر ان يقيموا فيه . ثم قال هل اذا سافر كراب الى مدن الشرق الكبيرة حيث يصادف فرصة اوفق لبيع الماسة . وتردد هذا السؤال في خاطره دون ان يهتدي الى حل مرضي واخيرا اغمض عينيه ونام حتى الفجر نوماً عميقاً هادئاً وعندما استيقظ تناول

قليلاً من الطعام ثم علا ظهر جواده وصار يعرف بفراسته ان فرساناً آخرين قد تقدموه سائرين في نفس الطريق · فسر بهذا وعلم ايضاً ان الفارس اهتدى الى الصراط المستقيم وكان كلما تقدم يزداد منظر البلاد وحشة واغبراراً · وكان النهر يجري بسرعة شديدة بين مضايق صخرية ثم تنصب مياهه المزبدة في منحدر بعيد الغور فيسمع لها ضجة شديدة

وبعد الظهر بقليل وصل نكارتر الى سفح رابية صخرية فهم ان يتسلقها وهو راكب وقد ظهرت له آثار على الارض عرف منها ان فرساناً آخرين مروا من هنالك حديثاً · وكانت تلك الرابية جرداء تطل على ما جاورها الى امد بعيد فوقف نكارتر فجأة لانه نظر على بعد ثلاثة اميال تقريباً خطاً رفيعاً من الدخان يتصاعد الى الافق فقال لعل هنالك منقباً عن الذهب او لعل الطريدة التي الاحقها قد عادت · وكان كل ما حوله يظهر له واضحاً فاستمر لفظاً بحركة تشير الى ان السائر فيها هادئاً ولكن هذا لم يكن راجحاً لان البوليس منذ دخوله الى تلك البلاد المتوحشة لم يشاهد اكثر من ستة من ذوي الجلود الحمراء · فتفرس في هذه النقطة بالعين المجردة حقبة من الزمان ثم تناول منظاره ووضعه على عينيه فوجدهم اربعة فرسان يسرعون في السير جنوباً واذ لم تكن جهة سيرهم في الجهة التي يقصدها البوليس تأكد انهم لا يقتفون آثاره وفضلاً عن ذلك فليس له من القلق فائدة

وعندما فكر بهذا عاودته الهواجس فتناول منظاره وبدأ يتفرس فوجد الاربعة يندرجون الى اليمين ويجرون في سيرهم محاذاة على بعد عدة اميال ثم وضع منظاره في جيبه وقد ظهرت على وجهه علائم الاهتمام والتأمل العميق لانه تفرس في الاربعة وعلى زعامتهم الفارس الذي طلب منه تيقاً وقص عليه ما عرفه عن دوالسون ومانبغ

وكان الجو قد طبق بالغيوم مما دل على قرب هبوب العاصفة فتساءل في نفسه عما يجب عليه ان يفعله وهل كان يسير في الخلاء العري فاذا كان ذلك فهو يدرك حتماً بل ان يلاقيهم الفرسان الاربعة ولكنه اذا كان يتعسف في طريقه فماذا يحدث ؟ وبعد ان فكر قليلاً قال — لا · لا · اني اتبع الآثار ذاتها ثم لكز جواده واخرج من كيس معلق بسرج الجواد بعض الامتعة الضرورية · ثم ساق مطيته الى سفح الرابية حيث ربطها في دوحة صغيرة محاذية للعليق حيث يجد الجواد حوله شيئاً من الكلاء فيمكن نكارتر ان يتركه هنالك وهو على ثقة دون ان يخشى عليه شراً ثم اطرد سيره ماشياً

وقد تبع في مسيره ضفة النهر ومازال يسير حتى وصل الى مضيق عميق تندفع اليه مياه النهر بسرعة وتنصب فيه فيسمع لها دوي شديد · وكان ممتداً الى المضيق حذاء

شجرتين كبيرتين قصفهما النهر فانشأها جسراً ورأى نكارتر آثاراً دلت على ان خيولاً عبرت ذلك الجسر حديثاً فتتبع الآثار فقاده تتبع الآثار الى غابة كثيفة نظر من خلال اشجارها خطاً من الدخان رآه وهو على الصخرة غير انه كان الآن قريباً. وهو يتصاعد من بناية خشبية عاث السوس في عوارضها

وكانت تجري امام هذا الكوخ ساقية جميلة مملوءة بالسمك والى جانبها يشبه الاصطبل قد ربط فيه ثلاث جياد

ولم يكن غير هذا الكوخ معموراً في الجوار . فاقترب نكارتر بهدوء واصغى لما يجري داخل الكوخ الذي ظهر له انه كوخ رجل يفتش عن مناجم الذهب فسمع من الداخل جلبة وضجة . فتقدم بدون احتراس الى ان دخل الباب فسمع صوتاً يقول:

قد اكتفينا يجب ان نضع حداً لهذا الانكار . فاعترف بالحقيقة اذا تريد ان نفاتحك اما اذا اصررت على الانكار لا نسلبك ماشيتك فقط بل حياتك ايضا

ثم ارتفع صوت آخر يقول

انا لم آت الى هنا لاسمع ثرثرتك

فاجاب شخص ثالث

— العلم ما بدا لكما . اذا شئتما ان تهاجماني بسكين وتقتلاني فلا تترددا . ولكنني اعيد عليكم اني لا اعرف ماذا حدث لماشية واود ان ابذل جهدي لابرهن لكم صحة قولي فانني خلعت ثيابي عندما امرتني بذلك فهل تودون ان اعيد ذلك الآن

فصرخ المتكلم الاول

ما هذه الترهات عندما تسدد حسابك نعرف ماذا تصنع بثيابك واما الآن فما عليك الا ان تخبرنا الى ما طلبنا وتيقن انه بعد ذلك نكون كرماء جداً حتى اننا نهبك حياتك . اعطنا الماشية او اهدنا الى موضعها وانت اذا رفضت مائت لا محالة

فقال الاعمى وهو يتنهد واي معنى للرفض هنا فهل يقدر الانسان ان يعطي الا ما يملكه

— آه .

ثم عاد الاعمى الى الكلام فقال

افكروا فيما تقدمون عليه، وتذكروا ان الدم المهراق ينتقم له دائما

— هوذا الرسول الصالح! سنعلم ما يجب ان نعمله

ثم خيم السكوت لحظة على تلك الغرفة

فقال نكارتر لنفسه يظهر لي اني وصلت في الوقت المناسب لامنع هذين الشريرين من ارتكاب جريمة جديدة

ففتح الباب بلطف ليرى ما يجري داخل الكوخ . فوجد كراب جالساً قرب منضدة في وسط المحل وعيناه الكبيرتان تحدقان بالحائط امامه . ولا شك ان الاخيرين باغتاه وهو على المائدة اذ كان عليها قطع من الخبز واللحم البارد وقدح ماء ووعاء القهوة واللبن . وكان ماتيو ودوبلسون واقفين امامه وعلى وجوههما امارات التهديد فكان واحد منهما رافعاً هراوة ضخمة فوق رأس الاعمى والآخر مستعداً ان يضربه بخشب البندقية

فقال لا يوجد في القضية ما يقال ان كراب اعمى اذ ليس يبدي اقل ممانعة لهذا الخطر الوشيك الحدوث

فتخطى عتبة الباب واسرع الى الداخل والقى نفسه بين الاعمى وبين الشقيين وصرخ بهما

— مهلا ايها الشقيان الغدر باعمى لا طاقة له على الدفاع انه لمنتهى الجبن والنذالة

ونزع الهراوة من يد ماتيو برشاقة وقبض على بندقية دوبلسون وحمى الاعمى الذي لم يعلم ماذا جرى والذي لم يكن يعلم انه اشرف على الهلاك

فحملق الشريران مفاجأة بهذا الرجل الذي لم يعرفا من اين اتى فخيل لهما انه هبط من السماء . واستولى الذهول عليهما بضع ثوان . اما كراب فانه تنهد حزناً واختبأ تحت المائدة

واخيراً تمتم دوبلسون قائلاً

اي شيطان هذا . من انت ايها الرجل . من انت

وكان نكارتر غريباً عليهم مع انه يعرفهم لانه نظر صورهم واسماءهم فلا يعرفونه البتة

— من انا . لا أرى اخباركم بهذا ضرورياً ولكن الذي يهمكم هو انني لا اقدر ان اسكت عندما ارى شريرين قويين مسلحين يفتكان باعمى ضعيف ليس له نصير ولا قدرة على الدفاع . انني لست عظيماً من عظماء الارض ولكنني لست نذلاً لادعكما وشأنكما

فقال ماتيو : انه لم يكن هذا سوى مزاح فقط وانما رمنا ان نخيفه

— ان تخيفاه . حسناً . ولكنني لا افهم كيف يمكنكما ان تروعا اعمى مثل ما عملتما

وكان الرجلان شاخصين بابصارهما اليه فقال نكارتر

— أصغيت قليلاً قرب الباب فسمعتكما تتكلمان عن ماسة وإذا كنتم تودون أن تتقاسموها وقت بينكم فأنا أرضى أن أكون حكماً وإذا كنت أقدر أن أفيدكما فأنا خادمكم

فقال دودلسون بحدة

لا تزج نفسك فيما لا يعنيك أمرنا وهل لك رأس ماو بل قاطع اهرب بأسرع ما يمكنك

— شكراً لك على هذه الدعوة الى الهرب . ولكني أروم أن أمكث قليلاً

ثم أخذ البوليس كرسياً وجلس بسكون ثم قال اسمعوا لكلامي كل الإصغاء يا رفاقي :

إذا حدث خصام في هذا الكوخ بعد الآن فهو سيحدث بيننا . إنكم سألتموني عن اسمي فأنا أخبركم في ذلك اني (جاك الأحمر) من مقاطعة موشتا المدعو أيضاً (بالدموي القاتل) . وقد تعودت ان آخذ الثمين أقوى سكناً وأحفظه لي

وفي أثناء الحديث أسند البندقية الى المائدة وسحب مسدسه من جيبه

— انظران جيداً هذا الكلب الصغير انه يصيح دون أن يحرش به أحد . وصوت واحد منه يكفي

ثم ضحك البوليس ضحكاً مرعباً وخلى الى الطمأنينة بينما كان ماثيو ودويلسون يتبادلان النظرات . فقال ماثيو

فاسأل المسافر . ألا ليس لنا مقام هنا بعد

فاقترب الاثنان من الباب

فقال نكارتر وهو يمسك سلاحه

ارجعا كما انتما خمس دقائق هنا أيضاً . فهذا الحق أوفق لكم وأنا أقول لكما السبب لأن عندي شيئاً لأقوله لكما وهو مهم جداً

فنظر الاثنان شزراً الى جاك الأحمر الدعي وهما يرغبان ان يفتكا به ، ولكن سلاحه كان يوحي لهما ان يحترماه

واستتبع نكارتر الحديث فقال :

عودا الى مجلسكما ما دمنا في هذا الكوخ فأنتما في مأمن من خطر الموت انني لا أبغي الدم لكما اقتراحاً فاذا أردتما تسمعاني ساعدتكما أيضاً

وكان انفعال الشقيين يشتد وهما يحدقان بمحادثهما دون ان يلفظا كلمة

فقال نكارتر بلهجة تدعو الى الثقة

اذا كان احدكم امهر من رفيقيه فسلب الماسة دونهما فلا تخاصموا الآن لاجلها . كونوا اصدقاء . لان خطراً مهولاً يتهددكم جميعاً

فقال دويلسون :

اي خطر هذا . ماذا تتكلم يا رفيقي . اوضح

فقال كراب الذي نهض من مجثاه تحت المنضدة

نعم . اوضح ماذا تريد ان تقول . ليس عندنا ماسة فقال البوليس وهو يرفع كتفيه

— هذا ممكن ولكن يوجد في هذه النواحي رجال مقتنعون بعكس ما تقرره . ايكفي هذا ? هل فهمتم معنى كلامي

— كلا انا لم نفهم فهل تريد بتشجيعاتك اقناعنا ان بوليساً يقتفي آثارنا

فقال نكارتر وهو يرفع كتفيه ثانية

— ربما ولكنني لا اعرف شيئاً من ذلك . ولكن الذي اعلمه ان رجالاً آخرين يطاردونكم وهم اشد خطراً بما لا يقدر من افراد البوليس

اجلسوا مواضعكم يا رفاقي واسمعوا كيف عرفت ذلك . انني لا اريد ان ارهقكم فراعنا وسلامتنا يتوقفان عليك

وبعد ان تبادل ماتو ودويلسون النظرات وجدا الاوفق لهما ان يتبعاه ويجلسا فجلس الاول على كرسي محطم والثاني على صندوق فارغ فاخرج كارتر من جيبه ورقة مربعة يملؤها الغبار مكتوبة بحروف حمراء ومد هذه الورقة لدويلسون دون ان يقول كلمة

وكان فيه تصريح من احد اشراف مقاطعة مونتانا يعد فيه بمكافأة كبيرة — خمسمائة ريال — لمن يقبض على جاك الاحمر الشهير حياً او ميتاً

وكان نكارتر يتلاعب هذا التلاعب وهو امين ان يفتضح سره فانه عرف ان جاك الاحمر كان في سجن هيلينا من مقاطعة مونتانا فليس في وسعه ان يقصد هذه الوحدة

ثم قهقه نكارتر وقال — لم عما قرأتم في هذه الورقة يمكنكم ان تثقوا بي واسمعوا قصتي الغريبة : فاني اضطررت ان اقتل رجلاً كما اقتل ذبابة . وكان هذا الرجل قد صب ماء في قدح خمري أسمعتم ? ماء مع الويسكي ! ماء ماء .

فقلت لهذا الشقي الذي تجاسر على مزج الويسكي بالماء : ان قايين ليس شيئاً بالنسبة اليك . ان ما فعلته هو اعظم من قتل الاب او الاخ واريد ان اريك ايها الشقي كيف

تجاسر ان تسمم رجالا شربوا الويسكي الممزوج بالماء . ولم ادعه ينتظر كثيراً بل اطلقت عليه رصاصة كانت القاضية

انتم ترون اني كنت محقاً في عملي ولكن الشريف واعضاء محكمته حكموا عليَّ بهذا وبالاختصار فاني لو لم افلت الآن من الحرس لكنت علقت الآن في مشنقة حبل . وكان موتي خسارة في الوطن أليس كذلك

ثم بدا يطوي الورقة وقال :

اما الآن فها اني بري بري !! وحشي كما ترون فقد نجوت من الشرور ولم يعد من معارض لي في رزقتي . ولكني قد صادفت منذ يومين فارساً قص لي خبراً غريباً

قال لي انه كان في خدمتكما وكان لي ان في حوزتكما ماسة لا نظير لها في العالم بأسره وحاول ان يقنعني بالاتفاق معه لنسلبكما اياها

فنظر دويلسن وفايل احدهما الى الآخر وهما مندهشان . ثم قال دويلسون :

اسمع . انا اعرف حق المعرفة هذا الرجل الذي تتكلم عنه . فقد كان معنا وقد وقف على شيء من سرنا وبعدها طردناه عن اشغاله لجرم من تعرضه . ولكن هذا ليس بالامر الخطير

فقال نكارتر حسناً دعني اتكلم

على مسافة قليلة من هنا تجد رابية صخرية تنفرد بها دون تلك الاشكال وشبيهها بواديكما . وقد وقفت ساعة الاستراحة فظهرت في السهل اربعة فوارس سائرين نحوه . تلك هذه الناحية وجهتهم التي يقصدونها الآن ولكن القوم الذين يقتفون اثرهم واذا تنكبوا عن الطريق قليلاً فذلك حتى يجتمعوا اليهم

اما ما اقصه لكم فهذا واضح وضوح الشمس واذا كنت اشك في ذلك فانا اقسم لكم بالوعد اني التقيت بهذا واخبرني انه — وقائد هذه الفرسان هو الرجل الذي كان في خدمتكم . وقد وافق كلام الوليس ما سمعه الذين لم يشكوا في وجود الفلاة فاقترح دويلسون سرعة الهرب

فقال جاك الاحمر الدعي لا افكر بهذا البتة فهؤلاء القوم يعرفون الملاعبة كما يعرفون جيوبهم فهم يسكونكم حالاً . لا . لا . الاحسن ان ننتظرهم وان نتربص بهم [illegible]

— ماذا تقول اتتربص . اذن انت من جماعتنا

— مؤكد . فهل تظنون اني احتمل ان اراهم يشجون رؤوسكم بالرصاص ويقتلونكم

هذا الأمر [illegible] . [illegible] هذا [illegible] لا تعرفون [illegible] الآخر [illegible] ، إذا [illegible] قليلاً ولا [illegible] من [illegible] أمام [illegible]

قال كراب :

[illegible] هل حضرت هذا [illegible]

فقال [illegible]

هل [illegible] هؤلاء الرجال يعرفون [illegible]

قال هذا [illegible] المطر [illegible]

قال [illegible]

[illegible] هؤلاء الرجال [illegible] لا [illegible] الا [illegible] انهم يعرفون [illegible] هذا الكوخ

— هذا [illegible]

هل [illegible] هذا الكوخ [illegible] ؟

قال [illegible] لا

فصرخ كراب

— [illegible] الى هذه [illegible]

فقال له كراب [illegible] شكراً [illegible] أكواخ في الجوار

فقال كراب : لا يوجد أكواخ الى مسافة بعيدة [illegible] السنوات الأخيرة [illegible] لا [illegible]

فقال البوليس : لا [illegible] هذه [illegible] الموت

وكان [illegible] حالة [illegible]

— ثم [illegible] لذلك [illegible] بالطبع [illegible] كراب [illegible]

[illegible] . . .

فقاطعه نكارتر قائلاً

— من الجنون ان تفكروا بمثل هذا الآن . ان هؤلاء الاشقياء يتبعوننا الى مئات من الاميال

فقال كراب

— كيف يمكنني ان اعطي ما لا املكه وما لم املكه البتة

فخاف دالتو من اصرار شريكه على رفض طلبه ولكن نكارتر اسكته وقال :

سواء وجدت الماسة او لم توجد فانها في ما يظهر ستذهب بحياتنا جميعاً . . . إصغوا

فعلت وجوه الثلاثة صفرة واصغوا وقد حبسوا انفاسهم فسمعوا وقع حوافر جياد

فأظهر بذلك الدعي الذعر وقال

إذا لم يكن هؤلاء هم الفرسان الذين اخبرتكم عنهم فاني آليت على نفسي ان لا اشرب الا الماء الصرف بقية ايام حياتي . ولكني اريكم قدر الذي حالفتموه يا اصدقائي وسعادتكم بهذه الحلفة ارجوكم ان تتركوني اتولى القتال بنفسي

ولم ينتظر البوليس جواب الثلاثة بل ترك الكوخ وبعد عنه اربعين متراً في طريق ضيق وراء الكوخ

ثم وقف فرأى الفرسان يقتربون وكانوا اثني عشر وعلى قيادتهم الرجل الذي طلب ثمناً من كارتر . فابدى كارتر لهم اشارة بمسدسه ادهشت الرجال فوقفوا جميعهم كأنهم يخضعون لأمر

فصرخ القائد

— هل وجدت معارفك

— نعم . أجاب الوحشي الكاذب . صحتهم حسنة وقد كلفوني ان احمل لك تحياتهم اين تذهب الآن

فتبسم القائد ثم قال

اني قدمت الى هنا مع صديقين لنساعدك

— اؤكد لكم ان مساعدتكم لا تفيدني

— لماذا

— لاني لست في حاجة اليكم وهذا كل شيء

ثم ابدى البوليس اشارة من مسدسه في طيها معان كثيرة

فاقترب الفرسان وتشاوروا بصوت منخفض جداً حتى ان كارتر لم يسمع من محادثتهم كلمة واحدة

ثم عاد القائد الى الكلام فقال

— يقولون انك تقصد ان تحرش بنا وتعضدنا

— ثم تكونون في خطر جوهري يا فتى ذلك وهو يخوفك . اني منذ يومين لم اقتل احداً لاقتات به ومعدتي فارغة ومع هذا ليس لكم في قلبي بغض ولا حقد ولا اريكم اسناني الا اذا قصدتم الشر

فقاطعه القائد قائلاً

اقصر عنك وكف عن هذا الكلام اقول لك مرة . مرتين . ثلاث هل تريد ان تنحى عن طريقنا!

— انك تقرأ افكاري ايها الخبيث

— بالنتيجة فماذا تريد منا اذا لم نلحق بك أذى

— حتى الساعة لا . اما فيما بعد فانتم موشكون

— اذا مسست شعرة من رأس احد اصدقائي جعلت لحمك طعمة للعقبان

وضحك البوليس ضاحكاً

— اذن فابدأ

فصاح رجل كان واقفاً بجانب القائد

يجب ان نرسل رصاصة لدماغ هذا الخشن

ثم دفع جواده الى الامام قبل ان تبين نكارتر

فعندئذ اطلق البوليس مسدسه فسمع للرصاصة دوي واختلج الرجل فوق سرجه ثم سقط الى الارض لان الرصاصة سحقت كتفه

ثم قال نكارتر

عندي من هذه الرصاصة قدر ما تشاؤون لا اتأخر عن بذلها في سبيل خدمتكم . ان الممر ضيق جداً حتى لا يمكن لاكثر من اثنين منكم ان يتقدما سوية . وعندي لكم مؤونة كافية واصدقائي عندهم ايضاً كثير منها فاذا اصررتم على غيكم فانا سارديكم واحداً بعد الآخر حتى لا يبقى منكم احد . وسأسر جداً اذا قدرت ان اخدمكم بان اجمعكم مع اجدادكم السالفين

فظهر الرعب على وجوه الفرسان عندما شاهدوا مصرع صديقيهم وزاد في رعبهم صهيل الخيول واضطرابها · ثم صاح اثنان من مؤخرتهم انه لا بد ان يحمل الكل وحاولا ان يتقدما الى الامام ولكن جواد القائد اجفل وسد الممر فجعل هذه المحاولة مستحيلة

ولم يتمكن لاحد من الصف المتأخر ان يطلق النار على البوليس خشية ان يصرع احد رفاقه فلم يجدوا افضل من العود فلووا اعنة الجياد وانقلبوا راجعين

ونزل القائد واحد رفاقه ليساعدا الجريح على الركوب وبينما كانا يجدان في رفعه الى المركبة التفت القائد الى نكارتر وقال له

ايها الغريب انك قد بدأت القتال فاحذر من انتقامنا قبل ان يطلع النهار ·

فقال نكارتر بحدة

جربوا من عندنا من الملتمس انا يكفيكم

وعندما توارى الفرسان عن نظره عاد الى الكوخ · فوجد دوبليدون ومايو وفي يد كل منهما مسدسه وهما واقفان امام الباب

اما كراب فلم يتحرك من موضعه وكان وجهه مصفراً وامامه بندقيته المعمرة مسددة

فقال مايو البوليس

يا الشيطان · انك عراف شهير دون شك فلو لم تنبئنا بالخطر لانقضوا علينا ونحن في الكوخ كما ينقضون على الثعالب

فقال نكارتر

لم تنته الحركة بعد فانهم سيعودون

فسأله كراب وهو يضطرب

اتظن ان هذه العصبة ستعاود الهجوم قبل الليل

— لا · لا · اننا الآن آمنون الى اجل قصير ويجب ان نغتنم هذه الفرصة لنقتات بشيء وبعدها نعد الوسائل لمصادمتهم · قال البوليس هذا ثم دخل الى الكوخ

فقال له دوبليدون

كل قدرما شئت اذا كنت جائعاً · اما انا فاني لا اقدر ان اتناول لقمة واحدة وافضل ان اقوم على حراستكم خارجاً · واظن انه من الضروري ان يقوم واحد منا على هذه الحراسة

فقال له صاحبه لا حرج عليك — كما تشاء

[illegible]

[illegible]

— [illegible]

[illegible]

— [illegible]

[illegible]

— [illegible]

— [illegible]

[illegible]

— [illegible]

— [illegible]

— [illegible]

— [illegible]

[illegible]

— [illegible]

— [illegible]

— [illegible]

— [illegible]

— يا الهي : انني عند الحاجة اعرف كيف استعمل المسدس

— حسناً فليس علينا الا ان ندافع عن نفوسنا فماذا تقول يا كراب وقبل ان يجيب كراب افرغ قدح الماء في فيه ثم قال

— ليس لي ما اقوله سوى انني كنت اود من صميم الفؤاد ان لا ابلغ هذه الانحاء المقفرة . اني انصحكما يا رفيقي ان تتبعا نصائح هذا الرجل فتتسببا هذه المتاعب . انكما تريدان ان تجعلاني سارق الماشية واخبرتما غريباً بما تقصدان فكانت نتيجة ثرثرتكما عصبة من الاشقياء تتعقبنا الآن وهذر كاسياني على حياتنا

وكان كراب يتكلم بلهجة ملؤها الاخلاص حتى اوشك ان ينخدع بها نكارتر نفسه لولا ان براهين دامغة كانت تقنعه ان كراب بالرغم عن انكاره الشديد هو سارق الماشية

فلمعت شرارات الحقد في نظري دونيلسون وماتيو الموجهين الى كراب ثم التفت نكارتر الى دونيلسون وسأله قائلاً : هل تظن انهم يهاجموننا هذه الليلة

— انني نظرت هؤلاء الاشقياء حين صعدت الى ذروة الرابية فوجدتهم في الوادي مشتغلين بتناول الطعام والعناية بالجريح وسيصلون الينا في الليل فقال ماتيو لم يبق للظلام الا ساعة واحدة

فتنهد كراب تنهداً كثيراً وسأل قائلاً . — هل يوجد مظاهر تدل عَلَى قرب وقوع المطر

— نحن معرضون من حين الى آخر لغيث ساكب

وكان نكارتر قد انهى العشاء ودخن لفافته بهدوء . وكان من مظاهر السكينة التامة التي تلوح على وجهه انها أثرت تأثيراً حسناً في نفس البقية . وبعد قليل اقبل الظلام

وكان نكارتر جالساً قرب الباب فالتفت الى الداخل وقال : اظن ان العصبة لا تتأخر طويلاً فاستعدوا للمصادمة

فقال ماتيو والحيرة لا تفارقه

— ماذا نقدر ان نصنع

— انهم يعتقدون دون شك اننا نتحصن هنا فاذا اغلقنا باب الكوخ احبطنا ما يرومونه من حصارنا ولا اظنهم يعودون الينا راكبين ولكنهم يترجلون في الوادي ويتسلقون الصخر الينا

فقال دونيلسون:

— اننا نقابلهم سوية وهم يقابلوننا واحداً واحداً حقاً ان هذا موافق

— هل تنظرون ذلك الصخر على بعد خمسين متراً

وكان البوليس حاكياً في تدبيره ولكنهم عرفوا ماذا يريد ان يكلمهم

— الاثنان منا يلوذان بذلك الصخر فيصيران كأنهما في معقل . فانتما يا دويلسون وماتيو تذهبان الى هنالك وانا والاعمى نتوارى وراء هذا الصخر المقابل وان يكن اقل مناعة من ذلك الا انه كاف . فاذا انحدر المهاجمون من الرابية شويناهم بنار بنادقنا

فقال ماتيو : فكر في غاية الاصابة فتعال يا جورج

— نعم ان هذا التدبير حسن — قال البوليس — ان رصاصي تسوى اثنتين اما الاعمى فيحشو لي السلاح . أليس كذلك يا كراب

فاجاب التعس بلهجة اليائس . افعل كل ما تأمرني به . ثم افرغ قدح الماء في فمه وسار وهو يتلمس الحائط الى زاوية من الغرفة . ثم عاد وبيده حقيبة ملأى بالخرطوش .

فسأله نكارتر : أهذه لي

— نعم . فقدني الآن الى الزاوية التي عينتها

فسار دويلسون وماتيو الى الصخر الذي دلهما عليه البوليس وسار كراب ونكارتر الى الصخر المقابل على بعد خمسين خطوة من الصخر الاول

— لا يوجد في هذا الصخر سوى محل لرجل واحد فتمدد انت على الارض

فسأله الاعمى : وانت ماذا تفعل يا صديقي

— لا اجد ملجأ ليقيني المهاجمة من بعض النواحي

فتنهد كراب وقال كل هذا من اجل ماسة مشؤومة

فقال البوليس ضاحكاً

— نعم . انني بعد كل ما سمعته لا ارى الامر هيناً . ولكن كفى الآن ! فاما ان يكون سمعي قد خدعني او ان المهاجمين اقتربوا ! اصغ

واصغيا فسمعا دوياً من غابة مجاورة وكان خفيفاً جداً في بادئ الامر ثم اخذ بالاشتداد شيئاً فشيئاً

واطلق بغتة طلقتان ناريتان من وراء الصخر الذي لاذ به دويلسون وماتيو

فتململ البوليس وقال ما اشد حمقهما انهما اهديا الاعداء الى مكمنهما عوضاً عن ان يعلما بالبادئين . فهذه الغباوة والرعونة ستكلفنا كثيراً

وفي الواقع انه لم يكد الطلقان يدويان حتى دوت ست طلقات من المهاجمين وكلها موجهة الى حيث خرجت النار

فايقن نكارتر ان الوقت قد حان لاطلاق النار والحال تصاعد في سكون الليل صراخ الم شديد · فقال البوليس قد اصاب الطلق على ما اظن · ثم افرغ من مسدسه الخمس الطلقات الباقية بسرعة مدهشة · ثم امر كراب ان يحشو السلاح

وكان يسمع حركة الاعمى وهو يحشو المسدسات · وسمع ايضاً من قمة الرابية صراخاً وتجديفاً فقال قائد العصابة

يا للداهية · انهم اكثر مما ظننتهم

وسأله آخر قائلاً

هل جرحت يا وان

— نعم

— وانا ايضاً مصاب بجرح بليغ

وظن نكارتر ان الاعداء سيقاتلون وهم متقهقرون فاذا كان ذلك فما عليه الآن يطلق طلقاً واحداً · او انه يفرغ سلاحه في الهواء

وفي هذه اللحظة دوى طلق من صخر الصديقين أطلقه الاعداء بطلقات شديدة قوية

ونظر نكارتر شبحاً يتسلل بين الاشجار فصوب عليه المسدس واطلقه فاضطرب الشبح وتوارى في الظلام دون ان يصيح صيحة الم

— هذه خسارة — قال البوليس — كنت افضل لو صرخ · لانه كان يلقي الرعب في قلوب المهاجمين

وغير الطلق بدل الوجهة التي كان يقصدها المهاجمون فانهم عرفوا ان الخطر يهددهم من الجهة الاخرى · والحال لمعت رصاصة وسقطت على الصخر وراء نكارتر والاعمى · فتمدد نكارتر على بطنه اما كراب فانه حشا الاسلحة واعطاها لرفيقه الشجاع وهو يتململ وسأله :

هل تظن انهم يحاصروننا هنا

— هذا ممكن

ولمعت طلقات جديدة بالقرب منهما

فقال البوليس وهو يحاول ان يتبين المهاجمين — عمل حسن

ثم جمعوا مقاماً من وراء صخر الصخرتين . فلم يطلق الاعداء بالمثل

ثم ابتدأ الحصار الذي تنبأ عنه كراب ونكارتر

وقد سمعه ممكن لم يخرج في الحال نكارتر رصاصة من مسدسه ثم تطرحه دون القتيلين الشريدين

فليس قليلاً وهو يحمل في كل يد مسدساً فارعيها بالتتابع في المهاجمين بسرعة فائقة . وقد اصاب في الجميع تقريباً فكانت ترى من حاميكلا شبحاً يتقلب على الارض او يضطرب او يتوارى في الظلام

ولم يتمكن الاعداء مدة طويلة من ان يعدوا الى المهاجمة فانطلقت رصاصة زاغت قبعة نكارتر وطرحتها في الارض . ولكن في ذات الحين سقط الرامي في الارض وهو يصرخ صراخ الالم

وكان نكارتر قد ابقى رصاصتين في كل مسدس

ولكن حدثاً بالقرب منه اثناء الظلام . فوجد كراب قد اطلق النار مسدسه

ـ لماذا صنعت هل انت مجنون . دعني هذا الامر علينا ان نقتصد في الذخيرة

ـ انت محق . ولكني فكرت ان رصاصة تطلق عندما ربما كان لها بعض النفع وقد تبحث حتى لم املك نفسي

وظهر انه قد اصاب المرمى لان البوليس نظر شبحاً يتلوى ذات اليمين وذات اليسار ثم سقط وتمدد . وعجب انه لم يطلق النار على هذا الرجل فتمتم قائلاً في نفسه

ـ آ . . . ه . اني عرفت الآن الحيلة

ولكن الوقت لم يكن وقت تفكير

لان ثلاثة اشباح اندفعت نحوه . وفي تلك الحال دوت الطلقات بدون انقطاع حتى كادت تصم آذان الحواس وكانت الرصاصات تمر على مقربة من تحت الآذان ثم شعر برصاصة قد حرقت شعره ولامست كتفه . وفي الحال سقط المهاجم صريعاً ان يبقى في مكانه القفص في مهاجميه وهو يثب ذات اليمين واليسار من مسدسه رصاصة صرعت الرجيم منه

وكان الثاني قريباً جداً من نكارتر فاستعمل نكارتر مسدسه كمرزبة وضرب به في رأسه ضربة كانت القاضية عليه فسقط السكين في الارض

اما الثالث فركن الى الفرار لا يلوي على شيء كأن الموت يتبعه ثم توارى في الوادي فتركه نكارتر يفر

وهذه النيشانة الفائقة من رجل واحد قررت النصر والظفر

ثم التفت نكارتر الى صديقه الاعمى وقال له اما الآن فلنعد الى الكوخ اذ لم يعد من خطر

فنهض كراب واسند يده على ذراع البوليس . فلاحظ هذا ان الاعمى قام بهذه الحركة بسكون ولم يخامرها شيء من الاضطراب والتردد الذي كان يرافق اقل حركاته . كان الاعمى يشكو منذ مدة يسيرة انه عصبي المزاج سريع التأثر ولكنه في هذه الحملة كان يظهر انه ليس اقل جلداً من نكارتر نفسه . فقاده البوليس الى الكوخ . ولما وصل الاثنان الى الباب وضع نكارتر يده على فمه ليستجمع قوة صوته ونادى الرفيقين الباقيين ان اخرجا من مخبأكما فكل شيء قد انتهى والحال ابصر رجلاً يجد السير نحوه وكان هذا الرجل ماتيو . فسأله نكارتر : اين صديقك ؟ فاجابه ماتيو بصوت متهدج . قد مات . أصابته رصاصة عند الطلق الاول نفذت الى دماغه

— آه يا للتعس ! ولكن لماذا عرض نفسه للخطر بتصديه لاطلاق النار اولاً

— لماذا . لانه حال متى رآك في المسافة الاخيرة . فاني توسلت اليه ان يتربص قليلاً ولكنه ابى الا ان يكون البادي . وحالما اطلق النار رفع رأسه ليرى اذا كان اصاب المرمى وفي الدقيقة عينها صاح صيحة مرعبة وسقط بين ذراعي ميتاً

— اني سمعت تلك الصيحة ولكني ظننتها نشأت عن الاعداء . ماذا تريدون ؟ ان الذي لا يصغي الى النصائح تكون العاقبة وبالاً عليه والآن فلنذهب لنحضره فهل انت جريح يا رفيقي

— كلا . وانت

— اني خمشت في ذراعي فهل عندكم مصباح

وكان مع نكارتر مصباحه الكهربائي ولكنه فضل ان لا يستعمله لئلا يثير الشكوك في نفس الرفيقين وكان يشعر بحاجة الى الحذر والاحتراس كل ما امكنه الاستطاعة . وفوق ذلك فانه لم يتم وظيفته بعد ولم يؤجر عن كل ما قام به فالماسة ما زالت مفقودة

فقال كراب هنالك مصباح في الزاوية

وبعد ان اوقدوا عدداً كبيراً من الثقاب (عيدان الكبريت) اوجده ماتيو مصباحاً في اثناء ذلك كان نكارتر قد خلع ملابسه ورفع كم قميصه فظهر على ذراعه جرح خفيف فقال البوليس ان الرصاصة كانت مسددة . والجرح الآن ارى سطحية

القتال ثم تناول المصباح واقترب من الباب

فصرخ باتيو

هل انت مجنون . فاذا كان احد الاعداء مطروحاً على الارض وله مكنة على اطلاق النار افلا يتخذ منك هدفاً صائباً

— هذا صحيح . ولكنني اشك في بقاء احدهم حياً واذا وجد احد فهو لا يؤثر النزاع . وعند اقترابه من الاشجار ابصر شخصين يقتربان منه فصاح به احدهما

لا تطلق النار ايها الغريب فانا قد لاقينا فوق الكفاية

— كما تريدون ايها الاصدقاء . اننا قوم مسالمون ولا نود ان نؤذي احداً ولكن اذا كان جلد احدكم يأكله فما عليه الا ان يعود . فما زال لدينا ذخيرة معدة لدبغه وتسالف الدهور . فلم يجيباه وعندها تقدم البوليس فرأى على نور المصباح ان احدهما كان جريحاً جرحاً بليغاً واما الجريح الثاني فكان خطبه ايسر فسأله هل خرج احدكم سالماً من المعركة

— نعم . ثلاثة

— واين هم

— انهم نجوا كالارانب واختبأوا في الكهف

— كذلك يفعل الجبناء . اني اراكما قادرين على المسير فاذهبا وادعوا اصدقاءكما . ليأتوا من مخبئهم ونادياهم ليرجعوا او يعتنوا برفاقهم ويلطفوا او من جهتنا فانا سنساعدهم في مهمتهم . ولكن اسمعوا اذا كنتم عازمين ان تعيدوا المشهد فانا سنجعل اجسادكم قوتاً لذئاب هذه الغابة

فتمتم احد الرجلين

بالله يا سيد . انا نلنا اكثر من حسابنا . لكن طمنتنا . نحن لا نريد الا المسالمة على شرط ان تقابلنا بالمثل

ثم ودعا البوليس — وداعاً بسيطاً — وانحدرا مسرعين الى مخبى الكهف ثم عادا ومعهما الاصحاب الفارون

وفي خلال غيابهم جال نكارتر في ساحة القتال ليرى اذا كان في وسعه ان يساعد احداً من الجرحى . فوجد اثنين منهم قد جرحهما بليغاً يحتضران على بعد من الكوخ خمسة من الهاجمين في جملتهم القائد سقطوا في المعركة

فقال البوليس وهو يفكر

يحزنني ان اضطر الى الفتك بهؤلاء . ولكننا كنا ندافع الدفاع الذي يجيزه الشرع . فلو لم ندافع لكانوا قتلونا الواحد بعد الآخر وظل الثلاثة الاصحاء نحواً من ساعتين حتى واروا قتلاهم في الثرى واعانوا الجرحى الى بلوغ مرابط الخيل ثم توارى هؤلاء الفرسان عن العيان وكانوا منكبي رؤوسهم حزناً لاخفاق سعيهم وخوفاً ان يلاقوا ثانية ما لاقوا الضرب والرصاص

وعندما بعد الاعداء قال جاك الكاذب اول فرض يجب علينا القيام به هو ان ندفن دونيلسون . فاستحسن ماتيو هذا الفكر واشتغل الاثنان بحفر ضريح لجسد رفيقهما فصرفا في هذا السبيل ساعة من الزمان

وفي اثناء ذلك كان المطر يتساقط غزيراً

وكان كراب جالساً داخل الكوخ ووجهه بين يديه وكان مضى الهزيع الثاني من الليل حين عاد كارتر وماتيو الى الكوخ

فقال نكارتر لا اعلم يا صديقي اذا كنت قادراً على السهر اما انا فسأنام قال ذلك وهو يتثاءب

فقال ماتيو

لو اعطوني ذهباً لانام ما امكنني ذلك . .

ولكنه بالرغم من هذا الكلام اضطجع في زاوية من الغرفة وبعد بضع دقائق علا غطيطه واستغرق في النوم . ولكن البوليس لم يغمض له جفن

وكان الهواء يزداد رداءة . وقبل الفجر بقليل هبت عاصفة شديدة صحبها برق ورعد . ولكن ماتيو لم ينتبه البتة بل ظل مستغرقاً في النوم

وكان الظلام لم يزل سائداً عند ما لحظ البوليس ان الاعمى نهض بتأن ومشى على رؤوس اصابعه نحو الباب . وكان يتقدم ببطء ولكن حركاته ليست حركات من فقد بصره

وهنا تلاشى الشك الاخير من نفس نكارتر . لقد شك به اثناء المعركة ولكنه علم الآن ان كراب كان من النوع المسمى (نكتالوب) والنكتالوبيا هي خاصة في العين تمنعها من النظر الا في النور الضعيف او الظلام الحالك وهي واضحة في الهررة السائبة التي تبصر ليلاً كما تبصر نهاراً

وهذه الحالة نادرة جداً بين بني الانسان ولكن نكارتر نظر مشهدها فكان كراب في النهار اعمى ولكنه يبصر جيداً في الليل

وقد قدر ان يخدع جميع من شاهده حتى اصدقاءه والاعداء فانهم كانوا يعتقدون انه فقد بصره تماماً . ولكن لما اطلق النار رغم ارادته فصرع الرجل الذي استهدفه كبارع صياد كشف سره لنكارتر

وهذا الاكتشاف زاد شبهة كارتر فجزم بان كراب هو سارق الماسة دون غيره . وكان عليه ان يعرف مخبأها . ولم يفكر بايقافه بل حاذر كل ما من شأنه ان يلقي الريب في نفس الاعمى قبل ان يعرف مخبأ الماسة

ان هذا الكذوب الماهر مهارة فائقة لا في سرقة الماسة فقط بل بتخبيئها على شكل غامض حتى لم يجدوها معه ولا في بيته . فكان البوليس متكلاً على الصدفة وان يدع السارق آمناً

ولهذا لم يعارضه حين خرج تحت المطر الساقط كافواه القرب بل نهض يظل يتبعه ان الثبات الذي كان يسير به كراب في تلك الارض الوعرة والمغطاة بالعوسج وليس فيها طريق مطروق ادهش البوليس اذ انه على الرغم من نظره الثاقب ومن اعتياده السير في الليل والنهار بين الوعور والآكام كان يبذل جهداً شديداً كي لا تزل به القدم

وكان كراب يتقدم دون تردد ولا تأخر وبدأ بالنزول الى المنحدر الى مصب النهر

فضاق صدر نكارتر لانه لم يدر كيف يتبع الكذوب في هذه الليلة الحالكة فوقف لحظة ليفكر فسمع بغتة وقع خطوات وراءه . فالتفت واذا ماليو قد انقطعت انفاسه من سرعة الجري وكان قد وصل الى حيث كان البوليس فقال له بصوت منخفض

اني نهضت فجأة ونظرت لنور البرق فوجدتك قد خرجت من الكوخ فلذا تبعتك

— بدون شك — اجاب نكارتر وهو شديد العجب من تصرف ماليو انه قد خبأها في الكهف على ما يظهر

فآلى ماليو على نفسه ان يلحق به وكاد يندفع في سبيله فامسكه نكارتر بيد حديدية فالزمه في محله وقال له ببرودة

انتظر دقيقة بعد يا عزيزي فعندي شيء اريد ان اوضحه لك فارتعش ماليو . فانه رأى ان سلوك صاحبه الذي لم يعد هو ذاته حتى ان لهجة صوته تغيرت ثم قال :

— ماذا تريد ان تقول

— انني بوليس ليس الا وانا مكلف ان اعيد الماسة الى صاحبها الشرعي الذي سلبت منه . فحين تحصل الماسة لبدي اعيدها الى دلار . اما انت يا مسيو ماتيو فانا لا اريد منك شيئاً ولكن اذا حاولت ان تقاومني او تحبط ما احاوله فستندم على ذلك . فوقف ماتيو دقيقة دون حراك كأن الصاعقة قد انقضت عليه وحاول عبثاً ان يتكلم

— بو . . . . ليس . . . . بوله . . . . بس — تمتم اخيراً . وانت انت . . . ت . . . نر . . . فينا .

— انا لا اقتفي آثارك ولكنني الاحق كراب . كنت افعل مثلكم

قال نكارتر بشاشة — فانني كنت اعلم منذ زمن بعيد انك لا انت السارق ولا دونلسون ولكنكم صممتم ان تستردوا الماسة ولكن لا لتعيدوها الى صاحبها بل لتبقوها لانفسكم .

— لكن . . . لكن . . . لا اعرف . . . اريد ان اسألك . . . ماذا تدعي

— ادعى كارتر من نيويورك وعادة يدعونني نكارتر

— يا الهي

فارتجفت جميع اعضاء ماتيو واستلقى على مقعد وهو يحاول ان يستعيد نفسه

— صه الآن — قال البوليس انني قدمت لك نصيحة حسنة والآمل ان تقابلني بالمثل وهذا كل ما اطلبه منك

— اعتمد عليَّ يا مسيو كارتر . فلتحرسني السماء من عداوتك

— لا احقد عليك — قال البوليس — وقد اخذته الرأفة على ضعف ماتيو ورجفة نفسه .

— كل ما تريد

— هل انت شريك كراب

— نعم ولكن لا في سرقة الماسة

— اعرف هذا . ولكنك تعرفه منذ زمن طويل . هل تعرف انه كان نكتالوب «يعني اعمى في النهار» ويرى في الليل

فنظر ماتيو الى مخاطبه بعجب

— حقاً انك لاحظت ذلك . انني اشتبهت به منذ زمن طويل وكنت انا كذ

— واخيراً تبدل شكك باليقين

— لا ولكن بالعكس بل كثيراً ما كنت القاه بنفسي · الان كراب اذا لم يكن سوى نيكتلوب فانه اشهر مجرم عرفته في حياتي

— ابلغني رأيك في هذا الامر · انه نكتلوب واقدر ان اؤكد ذلك

— هل تعرف اين خبأ عين الشيطان

— لم الاحظ اقل شيء من ذلك · ولا اقدر ان احزم بما اذا كانت الماسة في حوزته فليس عندي اقل برهان سوى الاستدلال والاستنتاج

— وانا من رأيك

— ارجوك — اذا كنت تريد الخير لنفسك — ان لا تكتم عني شيئاً عنه واقدر ان استفيد منه شيئاً

— اقول لك الحقيقة يا مسيو كارتر كما لو كنت اكلم نفسي واؤكد لك اني افادي بكل شيء حتى لا اعاديك

— حسناً — والآن اسمع — عندما هاجمت صديقك دويلسون وخادمه الاعمى هل كان في الكوخ

— لا · كان الكوخ خالياً · ولكننا وجدنا آثاره فجزمنا برجوعه

— ومتى رجع

— امس مساء

— اول الليل

— نعم

— اذن فهو في الليل يرى جلاء اذ كيف يمكن الاعمى ان يجول وحيداً في هذه القاطعات المقفرة · او لم ينبهك ذلك الى انه نكتلوب

— نعم ان هذا الفكر داخلني · ولكنني لم اقل لدويلسون كلمة

— هل عرفت شيئاً عن المحل الذي كان فيه كراب

— لا اعرف ... ولكنه اتى من هذه الجهة · ثم اشار الى فوهة الكهف

— هل تظن انه ينزل الى هذا الكهف

— انا راقبناه طول الليل · فلم يكشف لنا من الامر شيء حتى وصلت الينا · وقد تفننا في سؤاله واخيراً فرغ صبرنا فعولنا على ارغامه لإعطائنا الماسة طوعاً او كرهاً

— انكما تصرفتما بكل خرق في التذرع بالوسائل ولو لم اباغتكما لكنت الآن قاتلا شقياً امام الله والناس

فارتعب ماتيو وغطى وجهه بيديه ثم قال وهو يتململ

— كنت اود لو لم اتداخل في هذه القضية. مع اني انا. أنا الذي زينت لدوبلسون اتباع الاعمى واغتصاب الماسة

— اني قلت لك واكرر ما قلت. ليس في صدري شيء عليك لا شخصياً ولا بداعي الوظيفة ويمكنك ان تنسحب الآن دون ان تخشى شيئاً. ولكن كن حكيماً في المستقبل. وانصح لك الآن بالرجوع الى الكوخ مسرعاً كما تفر من الموت. اما انا فسأتبع الاعمى الى الكهف

— دعني اصاحبك يا مسيو كارتر. اني فكرت ملياً في ذلك. فقد كانت هذه الماسة مشؤومة فالقتني في هذه الوهدة. واريد الآن ان ابذل الجهد المستطاع لاردها الى صديقي القديم دنلر

فقال البوليس وهو يرفع كتفيه

— كما تشاء اذ لا اجد مانعاً من اجابتك الى ما تطلب. ولكني اود ان الفت انظارك الى الخطر الذي تسعى اليه فان كراب يحمل مسدسه وهو يرى في الظلمة كما يرى الهر.

— اذا لم تكن تعرف اقول ان معه ايضاً بندقية في الكهف ولكن هذا لا يثني عزمي عما اروم

— حسناً جداً. ولكننا نحتاج نوراً لئلا نعثر في انحدارنا لاننا لسنا من صنف (نكتالوب) كما تعلم

— سأذهب الى الكوخ وافتش عن المصباح

قال ذلك وهم بالانصراف فامسكه نكارتر بذراعه وقال له

لا حاجة لذلك لان معي ما يكفينا. واخذ من جيبه المصباح الكهربائي واناره بضغطه على الزر.

فأبصرا امامهما ممراً ضيقاً منحدراً كثير المزالق يؤدي من مغارة الاعشاب الى قاع الكهف. فتدرج الاثنان في هذا الطريق وهما متحدران. ولكنهما اسرعا في المسير على قدر الاستطاعة

ثم وصلا ايضاً الى ارض جرداء ولم يكن فيها سوى طريق صغير متعرج ضيق مملوء بالحجارة الحددة الرؤوس التي كانت تمزق الاحذية وكان على جانبيه صخر يبلغ بعضه الى الاعالي حتى تغيب قمته في السحاب وعلى يسارهما النهر بامواجه المزبدة فسأل البوليس

اي طريق يسلكه كراب عند مروره من هنا

ولم ينتظر طويلاً حتى سمع جواباً على ذلك فان شيئاً لمع في الحال قرب النهر وسمع دوي طلق ارعب نكارتر رعباً شديداً

وصرخ ماكيوس صراخاً هائلاً وأنَّ انة حزن لا تترجم بالكلام ثم رفع ذراعيه الى السماء وحركهما هنيهة وبعد ان خطا بضع خطوات الى الوراء سقط الى الارض لان الرصاصة كانت قد اخترقت قلبه

ولكن نكارتر لم يفقد صوابه فادار نور المصباح الى الجهة التي اتى منها الطلق ولكن النور لم يبلغ المسافة المطلوبة حتى يرى من هو الذي اطلق النار · فعزم البوليس ان يتبع مجرى الحوادث ·

وبعد لحظة دوى طلق آخر أصاب المصباح الكهربائي الذي كان في يد البوليس ولحسن الحظ كان نكارتر مادّاً يده بالمصباح لطول المسافة التي بلغها نوره فنجت يده من الصدمة الشديدة · وحين فقد النور عرف شدة الخطر الذي وقع فيه · اذ كان خصمه ذا مقدرة كبرى في انه يرى جلياً على رغم الظلام الحالك او الاخرى بواسطته

ولكن البوليس لم يكن يرى شيئاً فراح يعدو الى جهة الصخر ليتحصن ·

فوفق الاتجاه الى تجويف ضيق في الصخر فانسل اليه بسرعة وهنالك ربض ينتظر النتيجة بفارغ الصبر

فدوى طلق جديد وقع على الصخر الذي كان البوليس فيه وعند مغادرته قال :

اذن يجب ان اقيم هنا دون حراك فاني اذا خاطرت في التقدم خطوة الى الامام اصابتني رصاصة شدخت رأسي · لان هذا الحيوان يصيب المرمى احسن اصابة · ومع هذا فان مقامي ليس اقل خطراً من التقدم فقد يمكن ان يهرب كراب دون ان اشعر به

وفي هذه الخطة دوى الرعد فرددت صدى دويه الاودية بما يصم الآذان ولمع البرق فاضاء تجويف الصخر وتلك الارجاء كلها حتى سهل النظر على البوليس

فسر نكارتر بهذه الظاهرة وحاول ان يستفيد منها عالماً ان كراب لا يستطيع فيها شيئاً بسبب ضعفه · فخاطر حينئذ ورفع رأسه قليلاً ليرى خصمه فوجده على بعد خمسين

خطوة واقفاً امام ضفة النهر وهو يحمل باليد الواحدة بندقية ويستر عينيه بالاخرى حتى لا يبهره النور

فعمد نكارتر الى الاحتيال الذي خلصه من مواقف اشد خطراً من هذا الموقف فاخذ قبعته ووضعها على رأس عصاه ثم نزل مسرعاً الى ضفة النهر حيثما لا يرى

ثم انطفأ نور البرق وساد الظلام ولم يعد البوليس قادراً ان يرى كراب [illegible] حتى سمع دوي شديد وسمع نكارتر صوت قبعته المدحرجة على الارض

— لا عدمني فكري فقد ظننت انه سيطلق عليّ . واوشك ان يسقط الآن [illegible] [illegible] يسمع خطوات الرجل من المحل الذي كان جالساً فيه كأنما [illegible] افكاره [illegible] لان كراب كان [illegible] يرى خصمه قتيلاً

ولم يكن نكارتر قادراً ان يحول بينه في الظلام فعمل ان اصبر على سكوته ولم يشأ ان [illegible] النار لكيلا يعرف مكانه الى الكناوب ؟

ولكن يجب ان نؤمن الآن ان ضابط البوليس السري [illegible] الصخور التي صادفها الآن الكبير حتى اشرف الجبال وعلى رأس صخرة .

فوقف كراب جامداً ووضع يده على جبينه مفكراً لان النور بهرها وسكن بدون حراك كأن نار البندقية قد احرقته

وتحامل [illegible] البوليس واطلق عليه . فشعر كراب بدنو خصمه فصاح صياح الغضب وقد ارتعب خوفاً لان نور البرق لم يكن قد احتجب بعد فحاول ان يقابل البوليس . ولكن عندما كان [illegible] قبض على البارودة قبل ان يطلقها كراب فضاع الطلق في الهواء وتكررت دوي الطلقات له تلك الصخور [illegible]

واسود الظلام [illegible] [illegible]

وقام بين الرجلين صراع شديد . وكان اليأس يضاعف قوى كراب وفضلاً عن ذلك فانه يرى في الظلام واما نكارتر فصادف مشقة شديدة ليقبض على خصمه وقد قاتل كراب خصمه [illegible] فكان يثب ويضرب ويزمجر ولكنه عبثاً [illegible] نكارتر على رقبته بذراعيه الشديدتين . وانهارت القوة التي تحت اقدام الرجلين فجأة [illegible] من النظر . فقذف كراب الهاوية ولكن البوليس [illegible] الى الوراء من خطر الانحدار من رابيته الى اعماق النهر

ولم [illegible] [illegible] تلك الارجاء . [illegible] نكارتر خصمه متدهوراً في ذلك [illegible]

وهو يحاول ان يتمسك بالمركب ليخلص ما حواه · وسقط المسكين في النهر وقد صرخ صرخة اليأس وهو على وشك الهلاك :

ماستي ملعونة · ماستي ملعونة · انك لن تظفر بالماسة الحية · الحية · الحية · وطفت فوق مياه النهر صدى صيحة هائلة جمد لها الدم في عروق نكارتر ثم غاص في الماء

* * *

وبعد بضعة ايام وصل البوليس — وهو الوحيد الذي بقي حياً من العصابة الى عاصمة في الاريزونا فيها مكتب التلغراف · وارسل بالبرق الذي كان نكارتر قد امره وهو به ان دطار سافر الى سان فرنسيسكو فاجابه نكارتر تلغرافياً بما يأتي

سأقابله في سان فرنسيسكو واطلعه على تفصيل الحوادث اما انت فيمكنك ان تذهب الى نيويورك ·

وكان نكارتر بعد الواقعة قد جاس الاراضي وسوى كل شيء · ثم عاد يلتمس الجواد فوجده حيث تركه اما بقية الطغاة فقد هلكت برصاص القتالين · واستمر البوليس سائراً على ظهر الجواد حتى وصل الى موقف السكة الحديد وركبها الى فرنسيسكو وهو ينشد الراحة لانه وجد اخيراً في مركبة فاخرة فيها جميع معدات الراحة والرفاهية

وفي فرنسيسكو قابل دطار التاجر الهندي القديم ووضع في يده الماسة الحية التي كان يعتقد انه فقدها الى الابد · فكان تأثر التاجر شديداً حتى تعذر عليه النطق بضع دقائق ثم دعا البوليس الى تناول الطعام · وسأله ان يقص عليه الحوادث التي جرت

فقال نكارتر

ليست مهمة جداً — قال ذلك لانه كان يكره ان يذكر الاعمال الفائقة التي قام بها — ويكفي القول انه كان من المستحيل علي ان آتي بالماسة لو لم اعرف كيف سرقت

فقال دطار

اؤكد لك اني لا اعرف ايهما يسرني اكثر ان تعود الماسة الى حوزتي او ان اعرف الاسلوب الخارق الذي سرقت به

— ان الامر الذي حيرنا جداً كان بسيطاً للغاية · فكانت مظاهر الصعوبة التي تحوطه اشبه بالمظاهر التي حلت اركان بيضة خريستوف كولمب

يجب علي ان اقول لك ان كرات كان كاذباً في انه لم يكن يرى في النهار ولكنه في الليل يرى جلياً · وعلى هذا تمكن المحتال ان يرى في الظلام الحالك ·

ولكنك لا تلتفت وخفضت انوار الغرفة نظر الماسة تلمع في ذلك الظلام فخطفها ورماها في قدح الماء الذي كان امامه،

ولما شعر انك ستعيد اليه حالاً وضع القدح على فمه، واذ لم يكن للماسة لون استحال عليك ان تراها في القدح

فصادق دلمار على كلامه وقال

والاغرب من ذلك ان الماسة كانت تحت يدك عندما كنت تفتش جيوب اصحابك وثيابهم

وعندما طلب كراب منك ان تناوله قدح الماء قبل ان يبارح الغرفة قدمت له الكاس والماسة معاً وقلت [illegible] مستحق للاهانة التي وجهتها لهذا الضعيف اليس كذلك يا موسيو دلمار ان هذا يموت من الضحك

والآن تذكر جيداً انه بعد ان تناول الماء كله اقتصر على الاغضاء امامك وقد عزوت هذا لانفعاله الشديد من الاهانة حتى وقفت الكلمات على شفتيه آه. آه. آه.

وعندما خرج من الغرفة تناول الماسة من فمه ووضعها في جيبه . وقد اتى مثل ذلك مراراً في الكوخ حينما اجتمع به صديقاه والمؤكد ان الماسة كانت امامه في الكاس حين شرع بالقتال مع البرابرة . واذكر ايضاً انه افرغ القدح في فمه قبل ان يجلب لي حقيبة الرصاص ولا شك ان الماسة كانت عندئذ في فمه ثم خبأها في الكهف

ولكي اختصر القصة اقول لك اني خفت خوفاً شديداً اذا سقط كراب في النهر من ان تكون الماسة معه، فلا يعود في اليد حيلة كما تعلم واخيراً عزمت ان لا ابارح الكهف بل انتظر طلوع النهار واخيراً بدأت بالتفتيش بين الصخور

ولم يكن في مطمع ان اجد جثة كراب فاني لم اقف لها على اثر وبعد ان فحصت الحجر الصخري وجدت تجويفاً فيه يؤدي الى مغارة وكان في المغارة قوت وغطاء من الصوف وبندقية ومسدسان وعدة حوائج أخر

ولا يقتضي فطنة كبيرة حتى يعرف الانسان ان هذه المغارة هي مخبأ حصين وقد اتخذها كراب عند مبارحة الكوخ وأجاد في انتقائها لان رجلاً فيها يمكنه ان يحارب جيشاً على شرط ان يكون عنده الذخائر الكافية

واخذت انقب في زوايا الكوخ ومكانه ولكن آمالي خابت في ان اجد الماسة فيه، اذ لم يخطر لي [illegible] وكدت اياس لولا اني لحظت في جانب الكهف صخراً على شكل

مائدة وفي وسطه تجويف طبيعي صغير ملآن ماء

اقول تجويف طبيعي ولكن الامر كان بالعكس لانه كان من المستحيل ان يتسرب الماء من نفسه الى ذلك التجويف فكان من الواجب ان تكون يد انسان قد صبته فيه فوضعت يدي في هذه الماء فوقعت على جسم صلب لا اراه ولكنه كان موجوداً لانه كان يقاوم اصابعي وقد ذلك السرور الذي شعرت به فانني عندما اخذت ذلك الجسم من الماء كانت الماسة بعينها التي طالما بكيت عليها وحننت الى استرجاعها ، هذا هو حل اللغز

ثم استلقى نكارتر على مقعده واغرب في الضحك

فاستحوذ العجب والدهشة على دلار وكانت بشائره تمثل السرور باستعادة الماسة وتمثل الاحترام لذلك الشجاع النبيل المهذب فنهض وطوق عنق البوليس بذراعيه وجد في تقبيله قبلات شديدة اما نكارتر فلم يباله في ذلك البتة

ثم قال دلار

ان كراب هذا هو ادهى انسان التقيته في حياتي أليس كذلك يا مسيو كارتر ؟ انني لا اعرف كيف اعبر عن شكري العظيم

فتبسم البوليس . ثم استأنف دلار الكلام فقال :

ان الماسة صارت اعز شيء الآن بعد ان تعرضت لخطر الضياع . ولكنني كنت اود ان اعلم ماذا جرى لكراب

فقال البوليس وهو يرفع كتفيه — انني لم آل جهداً في التفتيش عنه فذهبت مساعي ادراج الرياح واعتقد الآن انه يرقد بسلام في اعماق نهر كولورادو ....

* * *